اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق

أحمد شوحان

رحلة الخط العربي

دراسة







أحمد شوحان

مواليد دير الزور 1944

عضو اتحاد الكتاب العرب- جمعية البحوث والدراسات

عضو اتحاد الناشرين العرب-عضو جمعية العاديات.

يهتم بالدراسات الإسلامية، وتاريخ وادي الفرات.

كتب العديد من المؤلفات منها:

1-تاريخ دير الزور

2-معجم العشائر الفراتية

3-الأمثال الفراتية

4-ديوان العتابا الفراتية.

5-ديوان عبد الله الفاضل وقصة حياته... وغيرها.

حقق العديد من المخطوطات منها:

1-أحكام النساء

2-سيرة عمر بن عبد العزيز

3-تاريخ عمر بن الخطاب

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة 125 ل.س في القطر
175 ل.س في أقطار الوطن العربي

رحلة الخط العربي

من المسـند... إلى الحديث

البريد الالكتروني: E-mail :unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

تصميم الغلاف للفنانة: سلام وردة

أحمد شوحان

رحلة الخط العربي
من المسند... إلى الحديث

- دراسة -

من منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق - 2001

الإهـــداء

إلى عاشقي الخط العربي الذي نـزل به القرآن فزاد في جماله جمالاً.

الذين يعكفون على إحياء هذا التراث الـرائع، والسـحر الحـلال، الـذي يفخـر بـه العرب وغيرهم.

أولـئك الذيـن يعملـون بصـمت، ويعيشـون بعيداً عن الأضواء، والشهرة، والجاه والمال.

أولئك هم المخلصون حقاً.

أتقــدم إلــيهم بهــذه الرســالة المتواضــعة عرفاناً بجميلهم، وتقديراً لمواهبهم.

أحمد شوحان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم
الدكتورة خيال الجواهري

للخط العربي ومنذ عهد بعيد، سحرهُ وجمالهُ وجاذبيتهُ، يستوقف الناظر ويثير الدهشة والإعجاب. ولو تأملنا تلك الرسائل المتبادلة بين الخلفاء والملوك، والتي كتبت على الرق، ومن ثمّ على الورق، لرأينا إبداعها، وهي تكشفُ عن مفاتن خطوطها وتكويناتها وإيحاءاتها وأصالتها ودلالاتها..

وهي إن دلّت على شيء فإنما تدل على براعة ومهارة الخطاطين لها. إنهم يرسمون الحرف، فينطق بالكثير مما هو بديع ورائع.

إنهم يعزفون على أوتاره الحساسة والرفيعة، فتأتي الكلمات مفعمة بكل ما هو جميل وأصيل ومشعة ببهائها ورونقها وقناديلها.

ومن يتأمل قباب المساجد وجدران المعابد ونقوشات المدارس والبيوت القديمة، يجد فيها الكثير مما نحن بصدده.

وكتاب (رحلة الخط العربي... من المسند إلى الحديث) للباحث القدير أحمد شوحان، يسافر بنا إلى حيث نشأة الخط العربي ومراحل بلوغه الأفضل والأجود مستلهماً التراث العربي والإسلامي والرؤى الإبداعية المعاصرة وصولاً إلى تجلياته المبتكرة والحديثة.

هي رحلة ممتعة تلقي الضوء على الخط العربي منذ أن وجد طريقهُ إلى شواهد القبور والآثار وحتى يومنا هذا، وقد تألق عبر لوحات حديثة ومعارض لا تقل أهمية عن باقي أنواع الفنون التشكيلية الإبداعية.

هي رحلة مكثفة وموجزة ومفيدة لمن يرغب التعرف على بدايات الخط

العربي والتماعات التجديد والتجريب، والإضافات المستمرة ومحاولات البحث عن أشكال أكثر تحرراً وأشكالاً.

مـــا أحوجــنا في أيامنا هذه إلى مثل هذا الكتاب، ليكون معيناً للدارسين ولعشــاق الخــط العــربي، للاستفادة مما يرد في ثناياه وفصوله من معلومات ومعطيات وإضاءات.

نــتمنى لمؤلفــه كــل النجاحات والتوفيق والمزيد من المساهمات المثمرة والإيجابية في هذا الميدان

د. خيال الجواهري.

ﮩﮩ

المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم.

والصــلاة والســلام على محمد النبي الأمي الذي بعثه الله رحمة للعالمين وجعل من أمته الأمية خير أمة أخرجت للناس، كانت في جاهلية جهلاء، فأنزل الله علــى رسوله (إقرأ) فأصبحت بها حين قرأت وكتبت معلمة العالم، وحاملة راية الفكر والعلم عن بني البشر قروناً.

وفي هذه الرسالة اللطيفة نسير مع الخط العربي، هذا الحرف المقدس الذي نزل به القرآن الكريم، وجعل النطق به عبادة لله التي لا يقبل الله صلاة بغيره.

وجعــل فيه سر إعجازه وبيانه، فزاد هذا الحرف جمالاً إلى خصوصياته، ممــا جعــل الخطاطيــن عبر العصور وفي سائر البلاد التي يوجد فيها فنانون وخطــاطون يتبارون في رسم حروفه فيطرزونها وينمقونها، ويجعلون من هذا الحرف الصامت حرفاً ينطق بحركة الحيوية، ليعبر عن جماله في تلك الأشكال والحــركات التــي جعلته يتكلم من غير لسان، وتفوح رائحته العطرة من خلال متابعة الكلمة الواحدة حرفاً حرفاً.

لقد تناولت في هذه الرسالة المتواضعة رحلة الخط العربي منذ أن كان في أعمــاق الجزيــرة العربــية (مسنداً) على القبور والآثار إلى أن أصبح لوحات حديــثة فــي المــتاحف ومعارض الخط، وذلك من خلال وجهة نظري ككاتب وباحــث لا مــن وجهــة نظر الفنان والخطاط الذي يتابع الحرف والكلمة لدى المبدعيــن وذوي الاختصاص، ولذا أرجو المعذرة من هؤلاء الخطاطين الذين يــنظرون إلى الكتابة عن الخط وتاريخه كما ينظرون إلى جمالية الخط وإبداع الخطاط في لوحته.

وســيجد القــارئ الكــريم فــي الباب الثالث (الخطاطون العظام) تراجم المشهورين من القدماء والمحدثين، وإن كنت قد اختصرته على أقل القليل بغية

الإحاطة بحياتهم، وتيسيره للقارئ.

أرجـــو الله أن يوفقنـــي لما يحبه ويرضاه لخدمة تراثنا العربي والإسلامي الذي نعتز به، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دير الزور في 15 رمضان 1421هـ
الموافق 11 كانون الأول 2000م.

أحمد شوحان

৯০

الخطاط

هو الفنان الذي يجعل من الحروف العربية لوحة فنية يقف أمامها المشاهد مبهوتاً يفكر في دقة الكتابة، وروعة القصبة، وعبقرية الخطاط.

ولا يقتصر الخطاط على صناعة لوحة فنية من الحروف العربية، لكنه يصنع منها لوحات كثيرة، كل واحدة منها تحكي براعته في صناعة تلك التحف التي يعجز عن مثلها النحات والمصور والمغني والكاتب ونحوهم.

إن الخطاط المبدع هو الذي يجعل موهبته في اللوحة تتكلم من خلال رشاقة الخط، وتناسق سطوره، ومدّاته وحركاته.

ونلمس قدرة الخطاط في إتقان مهنته، عندما نقف أمام لوحة من لوحاته فنجد حبرها متكاملاً في بداية الحرف الأول، ومتواصلاً في ذلك إلى نهاية الأخير، وأن قلمه (القصبة) التي كتب بها تناسب قطتها حجم الخط ومساحة اللوحة، والقلم الذي يكتب فيه على ورق أو كرتون يختلف فيه نوعه وحجمه عما يكتب فيه على الخشب والجص والرخام والجلد والبلاستيك والزجاج والقماش وغيرها من مختلفات المواد.

وإذا كان الخطاط اليوم يستعمل الفرشاة في أغلب اللوحات فقد كان قديماً يكتب كل ذلك بالقلم (القصبة)، وحينما اخترع المتأخرون القصبة من معدن اعتبروا ذلك عيباً في الخطاط لأن قصبة الحديد لا تعطي ما تعطيه القصبة النباتية.

إن الخطاط فنان مبدع، يستحق الانحناء والتكريم تقديراً لما يقدمه من لوحات خطّية للأجيال القادمة.

فضل الخط

الخــط والكتابة وجهان لعملة واحدة، وهما عصارة فكر الإنسان الذي فكر في الإبداع منذ الأزل، وسيبقى يفكر في خلود الذكر والأثر إلى الأبد.

لقــد راح الباحــثون يقلّبون أوراق السالفين للوصول إلى المعلّم الأول لفن الخط؛ فكانت الآية الكريمة ﴿ اقرأ وربُّك الأكرم، الذي علّم بالقلم﴾[1].

هي المعلّم الذي يأخذ بيد الباحث إلى أن الله سبحانه هو المعلّم الأول لقوله: ﴿علّم بالقلم﴾.

وقــد تحــدّث العلمــاء عن فضيلة الخط، وجمالياته، وأسباب انتشاره أو انحسـاره، وتطــوره وجمــوده، وكتــبوا في ذلك الكثير، فنحن نرى الأبجدية الإنكلــيزية تغزو العالم في القرون الثلاثة الأخيرة بسبب الغزو العسكري، بينما نجــد الأبجدية العربية تنتشر في العالم منذ خمسة عشر قرناً بسبب نشر الدعوة الإســلامية وتقــبّل الشــعوب هذه اللغة لأنها لغة القرآن ولغة الإسلام، ووسيلة التفاهم بين الشعوب الإسلامية.

وقد عرّف العرب الخط فقالوا: الخط لسان اليد.

وأســلس حاجــي خليفة العنان لقلمه فكتب يقول: (ما من أمر إلاّ والكتاب موكــل به، مدبّر له، ومعبّر عنه، وبه ظهرت خاصة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل، وامتاز به عن سائر الحيوانات)[2].

ونظراً لقيمة الخط فإننا نرى الخطاط مثلاً يكتب الآية القرآنية، أو الحديث النــبوي، أو الحكمــة الــبالغة، فيزيد جمالها جمالاً في روعة خطه، وعصارة إبداعــه، وإذا كانت اللوحة المخطوطة تحرك القلوب بنصّها، فإن الخطاط يهز مشاعر المشاهدين بجمال عطائه، ولذلك لم نجد خطاطاً واحداً كتب كلاماً سخيفاً ليزيّنه بجمال خطه، فالجمال لا يقع إلاّ على الجمال.

يقول الدكتور علي أرسلان -وهو خطاط وأستاذ بجامعة استانبول:

(يعتــبر فن الخط، أصعب الفنون الإسلامية، وذلك لأن الفنان فيه لا يملك في يده غير القلم البسيط، وهذا القلم مسطرة الخطاط وبِرْجَلُه[3] . وهو قسطاسه

---

(1) الآية الرابعة من سورة العلق.

(2) كشف الظنون (707/1).

(3) البرجل: الفرجار أو البيكار.

الذي يعين به أحجام الحروف.

هـذا القلم يقوم بأداء كل وظائف الآلات الأخرى التي يمتلكها الفنانون في سـائر الفـنون الأخرى. لذا تلزم الخطاط خصلتان رئيسيتان هما: القابلية وبذل الجهد)[1].

وبالإضـافة إلى كـون الخـط فناً وذوقاً وجمالاً، فقد كان وما زال مورداً لرزق الكثيرين من الخطاطين والهواة، سواء في محلات في الأسواق أو تدريساً وتعليماً، أو تأليفاً وتحقيقاً.

ولذلك اعتبره الأدباء فناً ومورد رزق.

قال ابن المقفع: (الخط للأمير جمال، وللغني كمال، وللفقير مال).

وقال أحد الشعراء:

تعـلّم قـوام الخط يا ذا التأدب ... فمـا الخـط إلّا زيـنة المـتأدّب

تعـلّم قـوام الخط يا ذا التأدب ... وإن كنت محتاجاً فأفضل[2] مكسب

وهـذه المـزايا التي امتاز بها الخط العربي من جمال وكمال ومال، قد لا نجدها في خط آخر من خطوط العالم.

قال أبو تمام يصف جمال رسالة جاءته فأعجب بها:

مـداد مـثل خافيـة الغـراب ... وقـرطاس كرقـراق السـراب

وألفـاظ كالفـاظ المـثاني ... وخـط مـثل وشـم يـد الكَعـاب

كتـبتُ ولو قدرت هوى وشوقاً ... إليـكِ لكـنتُ سـطراً في[3] كتاب

وقـد امـتاز الخطـاطون العرب والمسلمون بالجمع بين جمالية المقروء وإبداعيـة الخطاط الفنان، بمعنى أنهم كانوا يختارون أجمل اللفظ فيودعون فيه أجمـل مـا لديهـم من جمالية الخط وروائعه. وهم بهذا يزيدون جمال المعنى اللفظي جمال الخط، فيكون في ذلك إبداع الصورة والمعنى.

ولقـد تحـدث عن ذلك القلقشندي حيث جعل الإبداع في الجمع بين الشكل والمضـمون فقال: (اللفظ إذا كان مقبولاً حلواً رفع المعنى الخسيس وقرّبه من

---

(1) العثمانيون (ص257).

(2) كيف نعلم الخط العربي (ص107).

(3) العقد الفريد (4/ 201).

النفوس، وإذا كان غثاً مستكرهاً وضع المعنى الرفيع وبّعده من القلوب.

كذلك الخط إذا كان جيداً حسناً، بعث الإنسان على قراءة ما أودع فيه، وإن كـــان قــليل الفائدة، وإذا كان ركيكاً قبيحاً صرفه عن تأمل ما تضمنه وإن كان جليل الفائدة)[1].

وحيـــن راح الخطـــاطون يتفنّـــنون فـــي الخـــط فيلغزون فيه ويمشقونه مشـــقاً[2].بحيـــث يتحول الخط إلى طلسم ولغز يصعب معرفته، نبّه العلماء إلى ضـــرورة حســـن البيان في الخط وإيضاحه، حتّى أن ابن سيرين كان يكره أن يُكـــتب القرآن مشقاً، ويقول: (أجود الخط أبينَهُ)[3]. وذلك لسهولة القراءة، ومن ثم لسرعة الفهم.

ﮪ ■ ﮪ

---

[1] صبح الأعشى (3/5-6) كما في تراجم خطاطي بغداد (ص63).

[2] المشق: مدّ الحروف وإطالتها.

[3] العقد الفريد (4/197).

الباب الأول:

رحلة الخط العربي

1-في العصر الجاهلي
2-في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم
3-في عصر الخلفاء الراشدين
4-في العصر الأموي
5-في العصر العباسي
6-في العصر الأندلسي
7-في العصر الفاطمي
8-في العصر العثماني
9-في إيران
10-في أوروبا

1- الخط العربي في العصر الجاهلي

عــرف العرب الخط منذ غابر العصور وقبل الأبجدية التي عثر عليها في أوغاريت (رأس شمرا) بآلاف السنين.

وقد عثر في الجزيرة العربية وفي أماكن مختلفة على كتابات عربية مدونة بخــط (المســند) لذا اعتبره الباحثون والمؤرخون القلم العربي الأول والأصيل وهو خط أهل اليمن، ويسمونه خط (حِميَر).

وقــد بقــي قــوم مــن أهل اليمن يكتبون بالمسند بعد الإسلام، ويقرؤون نصوصه، فلما جاء الإسلام كان أهل مكة يكتبون بقلم خاص بهم تختلف حروفه عــن حــروف المسند و دعوه (القلم العربي) أو (الخط العربي) حيناً و (الكتاب العربي) أو (الكتابة العربية) حيناً آخر تمييزا له عن المسند.

(وكتب كتبة الوحي بقلم أهل مكة لنزول الوحي بينهم، وصار قلم مكة هو القلم الرسمي للمسلمين، وحكم على المسند بالموت عندئذ، فمات ونسيه العرب، إلى أن بعــثه المستشــرقون، فأعادوه إلى الوجود مرة أخرى، ليترجم الكتابات العاديــة التي دونت به). وجاء بعد الخط المسند الخط (الإرمي) نسبه إلى قبيلة إرم، وهــو الخــط الــذي دخــل الجزيرة العربية مع دخول المبشرين الأوائل بالنصرانية، حتى أصبح فيما بعد قلم الكنائس الشرقية.

وهناك القلم (الثمودي) نسبة إلى قوم ثمود.

والقلم (اللحياني) نسبة إلى قبيلة لحيان.

والقــلم (الصفائي) الذي عرف بالكتابة الصفائية نسبة إلى أرض (الصفاة) وهي الأرض التي عثر بها على أول كتابة مكتوبة بهذا القلم.

وقد ذكر الدكتور جواد علي رحمه الله أكثر من عشرين احتمالاً لأول من

كتب بالحرف العربي[1].

وإذا كـــنا الـــيوم نفتقر إلى تركة تفصّل لنا كل شيء عن المدى الذي بلغه العرب عبر تواريخهم السحيقة، فإننا في نهم شديد إلى البحث لاستكمال ما عثر علــيه الآثـــاريون مـــن لوحات وخطوط وآثار تشير إلى الحضارة العربية في الجزيـــرة العربـــية، والحضــــارة لا يمكن أن تبدع في ناحية وتعقم في أخرى، فالشـــعب الـــذي يقيم السدود منذ آلاف السنين لا بد أنه استعمل القلم والمسطرة والفرجار والمثلث، ورسم الأبعاد والجوانب لما همَّ به قبل الشروع في السدّ، ثم بدأ ما رسمه وكتبه على الورق بتنفيذه على الأرض.



نموذج من الخط المسند اليمني المحاط بزخرفة

(الخط العربي ص ١٨)

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (8/153-162).

القلم العربي القديم — القلم النبطي المتأخر

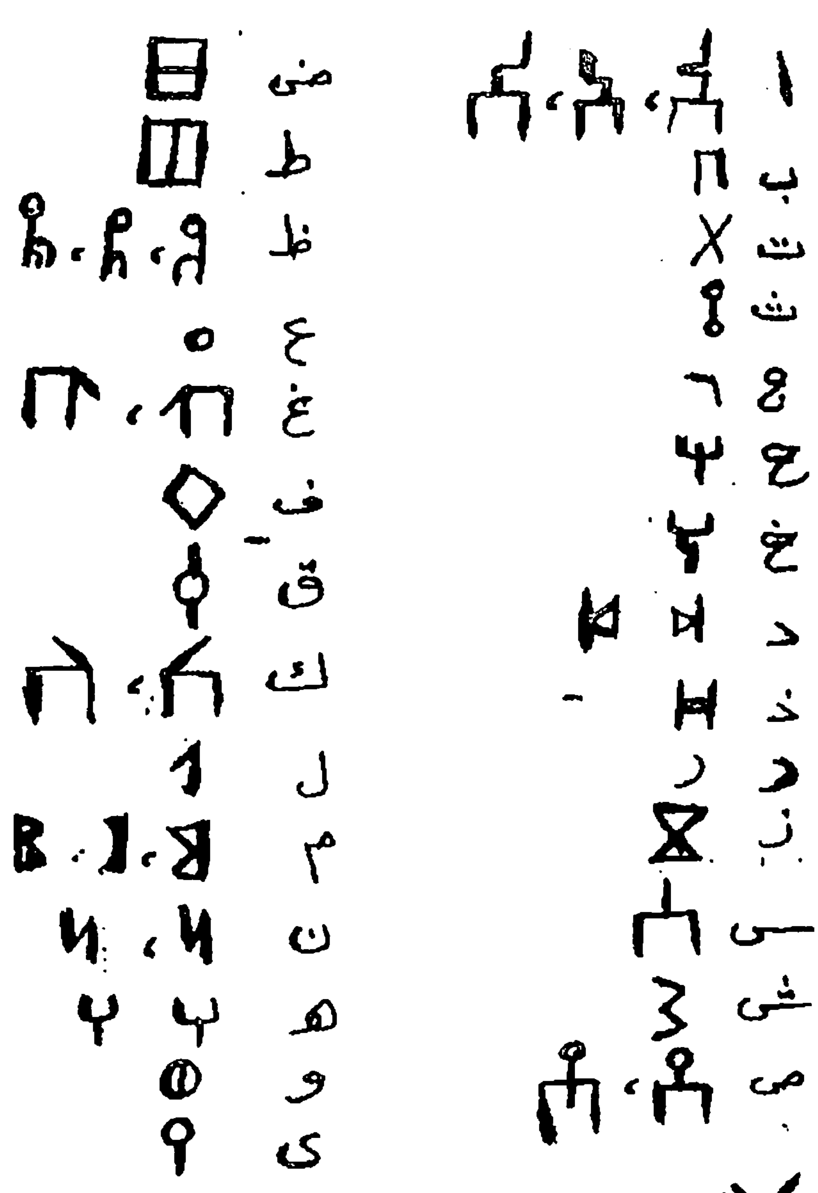
نماذج من القلمين النبطي المتأخر والقلم العربي القديم

المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام (٨ / ١٨١)



كتابة لحيانية قديمة

المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام (234/8)



: وليس لهذا الحرف مقابل في عربيتنا. وهو بين السين والزاي

أشكال حروف المسند

المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام (220/8)

2- الخط العربي
في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

جـاء الإسـلام مع التطور السريع والنقلة النوعية لأمة تسود فيها الأمية، وتنتشر فيها عقدة (الأنا) خلال فترة وصفها المؤرخون بـ (الجاهلية) فهي آخر ما امتلكه العرب من روح الحياة الحضارية والمدنية قبل الإسلام، فكان الإسلام نقطـة البدء، وعودة الوعي للأمة التي امتلكت زمام الحضارة منذ آلاف السنين الخالـية، فأصبحت تتنفس الصعداء بعد هذا الركام الطويل الذي غيّر كثيراً من معالمهـا، وطمس صفحات من تاريخها، أصبحت مجهولة لدى أبنائها، وأتعبت الباحثيـن في التنقيب عن أصالة الجذور، ورحلة الأصالة والتطور لهذا الحرف الـذي كـان نسـياً منسياً، فكانت الآية الكريمة(اقرأ) صلصلة الجرس الذي نبّه النائمين أو حرّك مشاعر وأحاسيس الغافلين عن تراث هذه الأمة الذي عفا عليه الزمن.

صـحيح أن القـرآن الكريم وصف العرب بـ (الأمة الأميّة) كما وصف الرسـول العربـي محمد صلى الله عليه وسلم بـ (النبي الأمي) وهذا الوصف للعـرب لا يعني (التعميم) إنما يعني صفة الغالبية، ولا يعني بأميّة النبي صلى الله علـيه وسلم صفة الجهالة والتخلف، إنما يعني الاعتزاز والثناء على شخص لا يحسن القراءة ولا الكتابة، ولم يتعلمهما عند من يحسنهما كما هو مألوف لدى الكثيرين من العرب وأهل مكة؛ ومع تلك الأميّة التي وصفه القرآن بها استطاع أن يصنع أمة متعلّمة، عالمة، داعية للعلم وآخذة بزمامه.

ومـنذ أن نزلت أول آية وأول سورة من القرآن الكريم وهي سورة العلق وآيـة ﴿إقرأ﴾[1]. راح هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم يدعو للأخذ بزمام العلـم، ويحث أصحابه على التعلّم، حتى أن الباحث في القرآن الكريم سيجد أن كلمـة (علم) وردت مئات المرّات داعية إليه، أو حاثة على الأخذ به، أو مثنية على أهله.

---

[1] الآية الأولى من سورة اقرأ.

مـــن هنا نستطيع أن نقول إن الخطوة الفنية والجمالية الأولى للخط العربي بـــدأت مع بزوغ شمس الإسلام في غار حراء، حيث نزل جبريل مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾[1].

بعـــد ذلك دخل العرب إلى دنيا التقدم والإبداع، وقدّموا للعالم فنوناً لم تكن تخطـــر علـــى بال أحد، فقد ألفت المجتمعات القديمة الفن في الصور والتماثيل، لكـــن العرب بعد الإسلام جعلوا الخط العربي فناً من الفنون، حيث يقف المشاهد مشـــدوهاً أمـــام لوحة الخط يتفحّص ويدقّق نظره في الجهد الذي بذله الخطاط، والدقّـــة التي وصل إليها من خلال جهود مضنية، ومقاييس متقنة للوصول إلى هذه اللوحة الرائعة التي هي (الخط العربي).

قلنا: إن نزول سورة العلق هي بداية الرحلة الرائعة التي انطلق منها الخط العربـــي، من خلال دعوة الإسلام للعلم، وحث الناس جميعاً ذكوراً وإناثاً للأخذ بزمامه.

وكـــان لآيـــة ﴿إقرأ﴾ أبلغ الأثر في حثّ العرب على التقدم العلمي، والعلم الـــذي دعـــا إليه الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم قراءة وكتابة، وتجويد الكـــتابة في الفن والذوق، وهل أجمل من أن يكتب الكاتب سطراً على عظم أو جـــريد نخل أو رقائق حجرية ليحفظ لمن يأتي من بعده القيمة العلمية أو الفنية التي يتضمنها ذلك السطر!!.

إنـــه جهد كبير عاناه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لتدوين القرآن، خلال ظروف قاسية.

لقـــد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الكتابة كما حث على القراءة، وحيـــث أن عصـــر الدعوة الأول هو بداية التأسيس، فقد انصبّت جهود الداعية الأول إلـــى كافـــة الجوانـــب لنشـــر الدعوة بين الناس في موطنها الأول مكة المكـــرمة، ثـــم نقلهـــا إلى كافة الجزيرة العربية، ومن ثم تعميمها إلى الأقطار الأخرى.

نســـتطيع أن نقـــول: إن بدايـــة إبداع الخط العربي بدأ في عصر الرسول صـــلى الله عليه وسلم، ومن تلك البداية المتواضعة طوّر الخطاطون خطوطهم فـــيما بعـــد. وقـــد ترك لنا هذا العصر عدداً من الرسائل التاريخية القيمة التي

[1] الآيات (1-5) من سورة اقرأ.

أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم للنجاشي في الحبشة، والمقوقس في مصر، وملك البحرين، وملك الروم في دمشق، وهي ذات قيمة تاريخية كبيرة.

3- الخط العربي
في عصر الخلفاء الراشدين

تطــور المجــتمع العــربي الإســلامي في زمن الخلفاء الراشدين تطوراً ملموساً، وتغير تغيراً جذرياً، وأصبحت سيادة الدولة بدلاً من زعيم القبيلة، كما أصبح القانون مكان العرف والعادة، ونتيجة لذلك فقد دوّنت الدواوين، وأصبحت لــلخط مكانــة، مما جعل رابع الخلفاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث عــلى تحســين الخط وإتقانه، لأن المرحلة التي كانوا فيها تستدعي قوة الدولة الفــتية، ونهضة العلم المتمثلة في البحث والتدوين، وإظهار الفن الإسلامي من خــلال الخــط العربي، مما يجعلنا واثقين أن الخط العربي (انتشر بنمو الإسلام وامتداده، ووصل في زمن قصير إلى جمال زخرفي لم يصل إليه خط آخر في تاريخ الإنسانية)[1].

فــلما انــتهت الخلافــة الراشــدة كان الخط قد برز كعلم وفن، له قواعده وأصــوله، وأخــذ يتحفّز لينطلق من الجزيرة العربية شرقاً وغرباً وشمالاً، مع سرعة الفتوحات الإسلامية في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوسعها خلال الفترة الأموية.

لقــد كانت بدايات النهضة العربية في زمن الخلفاء الراشدين، الذين أرسوْا قواعــد الدولــة الفتية، وبدؤوا في التغيير الملائم، وحيث أن الحياة بدأت تتغير، فقد تغيروا بما يلائم الحداثة والعصر الجديد، فحين انتشر اللحن لاختلاط العرب الأقحاح بالعجم، رأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يضع ضوابط للّغة العربية، وكانوا قبل ذلك لا يحتاجون إليها لسلامة نطقهم، ونقاء فطرتهم، فأوعز لأبي الأسود الدؤلي أن يضع تلك القواعد الثابتة في النحو.

إن هذا التطور في الخط العربي فرضته الظروف التي تغير العرب بسببها

---

(1) *تراجم خطاطي بغداد (ص25).*

من حال إلى حال، ولو بقوا على ما كانوا عليه لما احتاجوا إلى وضع الحركات والشكل، وابتكار النقط التي ميّزت بعض الحروف عن بعضها.

4- الخط العربي في العصر الأموي

أحـــرز الخـــط فـــي العصـــر الأموي تقدماً ملموساً على ما كان عليه في العصـــرين الســـالفين، عصـــر الرســـول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين، واستطاع أن يُبرز ولأول مرة الخطّاط، ومهنته إلى الوجود؛ رغم أن الحـــروف كـــانت خاليـــة من النقط، وقد لمع نجم عدد من الخطاطين يأتي في مقدمتهم الخطاط الشهير (قُطبة المحرر) الذي ابتكر خطاً جديداً يعتبر مزيجاً من الخطيـــن الحجـــازي والكوفي، وسمي هذا الخط بالخط (الجليل) حيث استعمله قطبة ومن عاصروه أو جاؤوا بعده في الكتابة على أبواب المساجد ومحاريبها.

ولـــم يكـــن خـــط (الجليل) هو كل ابتكار قطبة، ولكنه ابتكر عدة خطوط أخـــرى، أجـــاد فيها وأحسن منها (خطّ الطومار وهو أصغر من سابقه، وكذلك اخـــترع قطبة خط (الثلث) و (الثلثين) وذلك حوالي عام 136هـــ)[1]. وكان له فضل السبق في ذلك.

وخـــط الطومار يعني (خط الصحيفة) وجمعه طوامير، وقد سمّاه الأتراك خط (جلي الثلث).

وراح الخطـــاطون فـــي العصـــر الأموي –ولأول مرة- يخطُون خطوطاً جميـــلة تزين القصور والمساجد والخانات، ويكتبون بهذه الخطوط في سجلات الدولـــة الفنية ودواوينها الحديثة، فنالوا حظوة لدى الأمراء والخلفاء، وجعلوهم فـــي صدارة مجالسهم، واستعملوهم في دواوينهم. وأصبحنا نرى هذه الخطوط الحديـــثة الجميلة في هذا العصر تزين القباب والمآذن والمساجد والقصور التي حُـــلّيت بالفسيفساء والخشب المحفور والمطعم بالفضة والمعادن والزجاج، ليس فـــي العاصمة دمشق فحسب، بل في أبعد المدن القاصية عنها والثغور، وهذا ما نـــراه واضـــحاً بعد أكثر من أربعة عشر قرناً في المسجد الأموي في دمشق،

---

[1] من تاريخ المكتبات (ص67).

وقصـــر الحيـــر الشرقي، وآثار رصافة هشام، ومحراب المسجد الأقصى وقُبَّته وغيرها.

كـــان الخطـــاطون فـــي العصـــر الأموي يكتبون في سجلاّت الدولة بخط (الثلثين) الذي أطلقوا عليه لكثرة ما كتبوا به السجلاّت اسم خط (السجلاّت) (أما خلفاء بني أمية فكانوا يكتبون بخط الطومار وبالخط الشامي)[1].

وقد نشط عدد من الخطاطين في هذا العصر، لعبوا دوراً هاماً في النهوض بالخط كحركة فنية فنّية يأتي في مقدمتهم:

1- خالد بن أبي الهيّاج. وقد كتب عدداً من المصاحف.

2- مالك بن دينار. الذي غلب عليه الزهد والورع فذكروه في عداد الفقهاء والمحدثين وتوفي سنة 131هـ (753م).

3- الرشيد البصري.

4- مهدي الكوفي.

ثم اشتهر خطاطون آخرون لا يقلّون عن سابقيهم شهرة وعدداً انتشروا في الأمصار البعيدة عن مركز الخلافة منهم:

1-(شراشير المصري.

2-أبو محمد الأصفهاني.

3-أبو الفرج.

4- ابن أبي فاطمة.

5- ابن الحضرمي.

6- ابن حسن المليح)[2].

لقد كان لخلفاء بني أمية الدور الأكبر في نهضة الخط العربي، ودفعه إلى الأمـــام لمجـــاراة النهضـــة الشاملة للدولة الإسلامية التي أرسوا أسسها، ليبني اللاّحقون لهم على أسس المتينة.

---

(1) كيف نعلم الخط العربي(ص49).

(2) راجع كيف نعلم الخط العربي (ص27-28).

5- الخط العربي
في العصر العباسي

ما كاد الخطاطون يتربعون على عرش الخط في دمشق حتى زلزل العباسيون عرش الخلافة الأموية فيها، فاتجهت أنظار الخطاطين والفنانين إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية، ومدينة الخلفاء العظام المنصور والرشيد والمأمون، وطبيعي أن يرحل إليها الخطاطون كما رحل إليها الأدباء والعلماء، ليكونوا أقرب إلى الخليفة والدولة وينالوا أجر إبداعهم من الخلفاء والأمراء والموسرين وغيرهم.

وإذا كان العصر الأموي عصر تأسيس وبناء، فإن العصر العباسي عصر ازدهار ورخاء وبذخ، وفي مثل هذا العصر لابد أن يزدهر كل فن، وينبغ كل من يمتلك أدنى ملكة فنيّة أو علمية.

لقد ذاعت شهرة الخطاط (الضحاك بن عجلان) في خلافة أبي العباس السفاح، والخطاط (إسحاق بن حماد) في خلافتي المنصور والمهدي، حتى (بلغ الخط في عهدهما أحد عشر نوعاً)[1].

وتعددت أقلام الخطاطين وخطوطهم في عهد هذين الخطاطين حتى كانت مضرب المثل في إظهار ملكتهم في الحرف العربي. فلما جاء عصرا الرشيد والمأمون نضجت العلوم والفنون والمعارف، وراح الخطاطون يجوّدون خطوطهم، ويتنافسون في ذلك، حتى زادت الخطوط على عشرين خطاً، منها المستحدث ومنها المطوّر، فقد طوّر الخطاط إبراهيم الشجري (الثلث والثلثين) أكثر مما ابتدعه الخطاط قطبة المحرر، وقبيل نهاية القرن الثالث اخترع الخطاط يوسف الشجري أخو إبراهيم الشجري خطاً جديداً سمّاه (الخط المدوّر الكبير) حيث أعجب الفضل بن سهل وزير المأمون، فراح يعمّمه على جميع الكتب السلطانية الصادرة عن دار الخلافة، فأطلقوا عليه (الخط الرياسي) بينما انتشر عند سائر طبقات المجتمع باسم (خط التوقيع) وقد استطاع الخطاط الأحول المحرر البرمكي أن يأخذ عن إبراهيم الشجري، وأن ينجح في اختراع

---

[1] من تاريخ المكتبات (ص67).

خط جديد اسمه (خط النصف) الذي تفرعت منه خطوط جديدة فيما بعد)[1].

وجـاء أبـو عـلي محمد بن مقلة الوزير (272-328 هـ) فضبط الخط العـربي، ووضع له المقاييس، ونبغ في خط الثلث حتى بلغ ذروته، وضرب به المثل، وحسده الآخرون.

كمـا أحكم خط المحقق، وحرر خط الذهب وأتقنه، وأبدع في خط الرقاع وخـط الـريحان، وميـز خط المتن، وأنشأ الخط النسخي الحاضر وأدخله في دواوين الخلافة، وقد ترك ابن مقلة في الخط والقلم رسالته الهندسية[2].

وقـد زاد ابن مقلة في الأوساط الفنية كخطاط أنه كان وزيراً لثلاثة خلفاء، ولفترات مختلفة، فقد كان وزيراً للمقتدر، وللقاهر بالله وللراضي بالله.

وحيـنما غضب عليه الخليفة، قطع يده اليمنى لكنه لم يترك الخط، بل كان يـربط عـلى يـده المقطوعـة القلم حينما يشرع في الكتابة، ثم أخذ يكتب بيده اليسرى فأجاد كما كتب بيمناه.

واسـتمرت رياسـة الخط لابن مقلة حتى القرن الخامس، فاشتهر علي بن هلال (المعروف بابن البوّاب) والمتوفى سنة (413 هـ) فهذّب طريقة ابن مقلة في الخط، وأنشأ مدرسة للخط، واخترع الخط المعروف بالخط (الريحاني)[3].

ولـو أردنـا سبر المصاحف التي خُطّت في العصر العباسي لتبيّن لنا أن معظمهـا (تـرجع إلى القـرن التاسع الميلادي، وهي مكتوبة على الرّق بلونه الطـبيعي، أو المـلوّن الأزرق والبنفسـجي أو الأحمر، وبمداد أسود أو ذهبي، وتظهـر الحروف الكوفية فيها غليظة ومستديرة وذات مدّات قصيرة، وجرّات طويلة[4].

وبـلغت الخطـوط في أواخر العصر العباسي أكثر من ثمانين خطاً وهذه الكـثرة شـاهد عـلى تقدم الفن والزخرفة إلى جانب الخط. وظهر في العصر العباسـي خـط اسـمه (الخط المقرمط) وهو خط ناعم، حتى راح الخطاطون يتفنـنون فـي رسم المصاحف رغم صغر الحجم، فهم يزوّقونها، ويعتنون في جميع صفحاتها التي قد تصل إلى أدنى من (6×8 سم) وقد استطاع الخطاط أن

---

(1) كيف نعلم الخط العربي (ص29).
(2) من تاريخ المكتبات (ص67).
(3) راجع كتابنا الخطاطون العظام ففيه عنهما ترجمة مطولة.
(4) الفنون الجميلة (ص175).

يبري قلمه إلى جزء من المليمتر.

ولـــم يكـــن الخـــط العربي وقفاً على الرجال في العصر العباسي، بل نجد المـــرأة تبرز في هذا المضمار الفني العريق، ففي القرن التاسع الميلادي كانت هـــناك امرأة برزت في النسخ وجودة الخط، فأعجب بها أحمد بن صالح وزير الخلـــيفة المعتضـــد، وكتـــب عن براعتها ما يلي: (كان خطها كجمال شكلها، وحـــبرها كمؤخـــر شـــعرها، وورقها كبشرة وجهها، وقلمه كأنملة من أناملها، وطـــرازها كفتـــنة عينيها، وسكينها كوميض لمحتها، ومقطّتها كقلب عاشقها)[1] حقاً لقد بلغ الخط في العصر العباسي ذروته.



قرآن كريم بخط علي بن هلال المشهور بابن البواب .

عن كتابخانة عمومي حضرت اية الله مرعشي نجفي(ص63)

[1] الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص114).

6- الخط العربي في العصر الأندلسي

لـم تكـن شـبه الجزيـرة إيبريا (إسبانيا) شيئاً مذكوراً قبل الفتح العربي الإسـلامي لهـا، ولـم يكن فيها من الفنون ما يشجع الباحث لشدّ الرحال إليها لدراسـة ما فيها من فنون وزخارف. رغم كونها بوابة البحر الأبيض المتوسط للوصـول إلى الشـرق الحـافل بالفنون منذ القديم، ورغم كونها ذراع أوروبا الممتد نحو أفريقيا والوطن العربي وأوروبا نفسها.

وإذا مـا قيس واقعها قبل الفتح العربي الإسلامي لها إلى ما آلت إليه بعده، نجد البون واسعاً، والمسافة طويلة. فقد أصبحت تحمل اسم الأندلس، وأصبحت آيـة فـي الجمال والذوق الفني، مما شجع الإسبانيين أنفسهم للتخلّي عن لغتهم الأم، والإقبال على اللغة العربية التي أصبحت لغة العلوم ولغة العصر يومذاك، فهم ينهلون منها بشغف زائد، ويحرصون على تعلمها لأنها أصبحت لغة الثقافة العالمية.

وكـان اهتمامهم في هذا المضمار واسعاً، فقد أهملوا لغتهم الأصلية وأقبلوا عـلى اللغة العربية بعشق منقطع النظير، فتركوا قراءة الكتب المقدسة بغير لغة الضـاد، واعتـبروا اللغة اللاتينية، لغة ثانية، واللغة العربية هي اللغة الأم، إذ تـرجمت الـتوراة والإنجيـل للعربية، وبها قرئت في الكنائس. لقد كان دخول العـرب المسلمين إلى إسبانيا انقلاباً جذرياً في عالم الثقافة والفكر، ومع دخول الإسلام إليها دخلت في عالم الحضارة والمدنيّة.

دخل الحرف العربي إلى كافة مرافق الحياة، فهو في سطور الكتاب، وهو فـي زخـارف اللوحات، وهو في زخارف البيوت والمساجد ومراكز الولاية، وقصـور الحكـام، والأمراء والسلاطين، وهو في الكنائس والكاتدرائيات، وبه يقـرأ المسـلم القرآن في صلاته، والنصراني في إنجيله، واليهودي في توراته، وأصـبح الأدباء والشعراء والمؤرخون والفنانون من الأديان الثلاثة يكتبون به، وكمـا دخـل الخط الكوفي الأندلسي إلى المساجد فقد دخل الكنائس النصرانية والـبيعَ اليهوديـة عـن رغبة وشوق زائدين، لأن غير المسلم وجد فيه وسيلة

للثقافة، ودفعاً للفن الرفيع.

وازدهـــرت الأندلس، ونسي المجتمع الذي عاش فيها متآخياً قروناً طويلة اللغـــة التـــي كانت سائدة في الأندلس قبل دخول المسلمين إليها، مما دفع ملوك أوروبـــا إلـــى إرســـال أولادهم إلى جامعات الأندلس لتعلّم العلوم، والعودة بعد إتقانها إلى بلادهم، مما جعلهم يبذرون في أوروبا بذور العلم لنهضة تتناول كافة وجـــوه الحـــياة. ولكن بعد قرون من دخول العرب إلى الأندلس. وهذا ما جعل كـــبار المفكرين والمؤرخين يفخرون بالتغني بأيام العرب في الأندلس وإطلاق الحسرات على تلك الأيام، فيما نقلته زيغريد هونكه حيث قالت: (على بساط من نبات المسك والعنبر يتثنى، وتصفّر الريح خلاله، كانت أقدامنا تسير)[1].

واستمر الحرف العربي في الأندلس ثمانية قرون، كان خلالها مثالاً يحتذى للنهضة العلمية الرائعة التي خلّفها العرب في الأندلس، والتي أصبحت فيما بعد أنمـــوذج المجـــتمع الإسلامي المثالي لمن أراد أن يعمل بروح الإسلام. وكانت الابتكارات الكثيرة، والاختراعات العجيبة.

وكـــان من بين تلك الاختراعات آلة الطباعة الحجرية التي كانت مستعملة فـــي القـــرن التاسع عشر (فقد كان لعبد الرحمن كاتب اعتاد أن ينشئ الرسائل الرسمية في منزله، ثم ينفذها إلى ديوان خاص يصير فيه إظهارها على الورق، وهو نوع من الطباعة فتصدر في نسخ متعددة، توزع على عمال الدولة)[2].

وانتعشـــت أسواق الكتب في سائر المدن الأندلسية، وأصبح في كل مدينة سوق لبيع الكتب ومزاد لبيع الكتب بالمزاودة (بازار) وأصبح المخطوط العربي تحفـــة من التحف التي يزيّن بها الأثرياء قصورهم، ومادة أساسية لطلاب العلم الذين جعلوا غرفة في بيوتهم ذات رفوف وخزن كمكتبة خاصة لهم.

إضافة إلى عشرات المكتبات العامة في كل مدينة، يرتادها الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء.

وكانـــت أجمـــل هديـــة يتلقاها الملك فريدريك الثاني من أبيه ثياباً جميلة مطـــرّزة الأذيـــال والأردان بخط عربي بديع واضح، يقول فيه الخطاط بعد أن انـــتهى مـــن نسجه وتطريزه: (بمصنع الملك مقر الشرف والحظ السعيد، مقر

---

(1) *شمس العرب تسطع على الغرب (ص15).*
(2) *الخط العربي لبهنسي (ص96).*

الخير والكمال، مقر الجدارة والمجد، في مدينة صقلية عام 528هـ)[1].

وهل اكتفى هذا الخطاط العربي بإتقان الخط العربي على لباس الملك الصقلي؟!

لقد رسم الفنون العربية أيضاً في بيئة لا تعرف أمثالها، فقد أملى عليه ملك صقلية روجر الثاني ابن الكونت روجر الأول الذي طرد العرب من صقلية بعد أن بقي العرب في هذه الجزيرة قرابة قرنين ونصف قرن، أمر الملك الخطاط العربي أن يرسم له على ثوبه صورة لأسدين يضربان جملين فيصرعاهما وذلك يرمز إلى أن الملك الصقلي الذي رمز له بصورة الأسد انتصر على الحاكم العربي المسلم الذي رمز له بصورة جمل[2].

أصبح الكتاب العربي في كل بيت، وأصبح المخطوط العربي في كل مكتبة، ولا يمكن أن يخلو شارع من شوارع غرناطة وقرطبة وإشبيلية وغيرها من المدن الأندلسية من مكتبة عامة تقدم كافة الخدمات لمرتاديها.

وظل الملوك الذين حكموا الجزيرة بعد خروج العرب وانتهاء الدور الإسلامي فيها يسكّون النقود الإسبانية بحروف عربية، ويزينون ملابسهم بالخطوط العربية المذهبة والمطرّزة، مع أن الواقع يفرض عليهم أن ينهوا كل ما يشير إلى الوجود العربي والإسلامي في الجزيرة بعد انتصاراتهم على ملوك الطوائف وغياب شمس الإسلام، لكن الواقع المعاش يومذاك والحضارة التي تركها العرب لم تكن بالأمر الهيّن الذي يتنكّر له الملوك والعامة من غير المسلمين، فهم قد طردوا عنصراً عربياً، وطردوا ديناً يختلف عن طقوس دينهم، ولكنهم احتضنوا حضارة راحوا يعتزون بها ويفخرون، ويورثون هذه الحضارة لأولادهم وأحفادهم إلى الآن، فهم يعتبرونها أماكن أثرية إسبانية، كما يعتز العرب الآن في الآثار الرومانية التي خلفها الرومان يوم كانوا يسيطرون على بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي.

إن الخط العربي في الأندلس لا يزال رغم مرور أكثر من ألف عام يحكي قصة الفن والإبداع العربي والإسلامي الذي توصل إليه الخطاط والفنان المسلم في الأندلس حين وجد البيئة المناسبة للإبداع والنبوغ، وحين كان التقدم والعطاء المستمر ديدن كل مبدع، مما يجعلنا حين نقف على ما خلّفه العرب في الأندلس

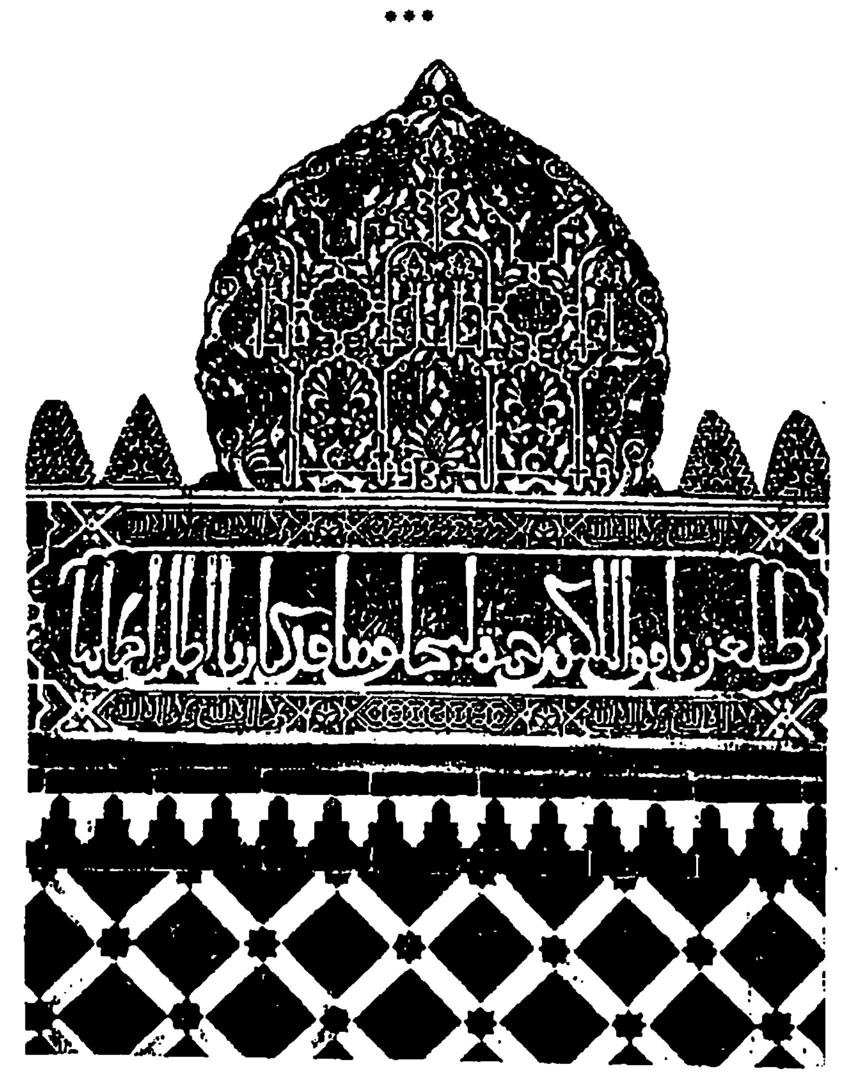
---

[1] شمس العرب تسطع على الغرب (ص409).

[2] شمس العرب تسطع على الغرب (ص409-410-584).

مـــن آثـــار رائعة نقول: من هنا مرّت الحضارة العربية الإسلامية، ومن هناك عـــبرت الحضــــارة الإســـلامية إلى أوربا. وفي هذه الأرض المعطاء انتعشت البذور الغضة التي زرعها المفكرون العرب قبل دخولهم إليها وبعده.

***



كتابة وزخرفة أندلسية

7- الخط العربي في العصر الفاطمي

اعتنى الفاطميون في مصر بالخط العربي عناية كبيرة، قد كتبوه على المآذن والقباب والأروقة وقصور الخلفاء، وأضرحة العلماء، وزيّنوا به واجهات الحمامات والمكتبات العامة ومضامير الخيل وواجهات السجون، والأماكن العامة، وظهر في مصر الخط الفاطمي، والخط الكوفي الفاطمي، وامتاز كل منهما بهوية خاصة، اختلفا عن غيرهما من الخطوط الأخرى.

لاشك أن مصر ازدهرت خلال العصر الفاطمي ثقافياً، وانتعش الكتاب صناعة وزخرفة وتجليداً وتذهيباً وتسويقاً. بل إن المبدعين استطاعوا خلال العصر الفاطمي أن يخترعوا قلم الحبر السائل الذي امتاز بخزّان صغير للحبر وله ريشة، وهو لا يختلف عن أقلام الحبر السائل الحديثة، وقدّم مخترعه هذا القلم للخليفة الفاطمي هدية، لكنه لم يعممه ولم يصنع منه أقلاماً أخرى ويبيعها لسائر الناس، لأن المجتمع المصري كان يحفل بأنواع مختلفة من أقلام الخط الدقيقة الصنع؛ التي تبلغ ريشتها جزء من عشرة من السنتيمتر الواحد، والتي خطّوا بها مصاحف صغيرة جداً توضع في الجيب، أو ربما تعلق بالحلق.

استمرت فترة الخلافة الفاطمية أكثر من مائتي سنة (359-566هـ) وكان عصر المعز لدين الله الفاطمي عصراً ذهبياً لهذه الفترة، وهو الذي كتب بقلم الحبر السائل.

ولا تزال قصور الخلفاء والأمراء الفاطميين تحكي قصة الفن الذي توصل له الخطاط والنقاش والنحّات في ذلك العصر، بل إن المآذن التي أقيمت خلال تلك الفترة تعتبر اليوم من روائع البناء الإسلامي. (وكان منطلق الخط في مصر "ديوان الإنشاء" وكان لا يرأس هذا الديوان إلا أجل كتاب البلاغة، ويلقب بـ "كاتب الدست الشريف")[1].

وكان المحمل الذي يتقدم قوافل الحجيج المصريين- والفاطميون من أوائل

---

[1] كيف نعلم الخط العربي (ص34).

مـن ابـتدع المحمـل الشـريف- حيث كان يزدان بالخطوط الذهبية الرائعة، والـزخارف الإسـلامية الجميـلة، بحيث أن من يقود ذلك الجمل يزداد شرفاً، ويحمل لقباً، ويورث ذلك لأحفاده من بعده.

وقـبيل انهيار الدولة الفاطمية واستلام الناصر صلاح الدين مقاليد الأمور في مصر، تبعثرت المكتبات الكبرى فيها ونتيجة للتعصب المذهبي.. فقد تحدث المقريـزي في خططه عن المكتبات الفاطمية الكبرى التي ذهبت أدراج الرياح بعـد اسـتيلاء صلاح الدين على السلطة في القاهرة، وأن الكتب شكلت أكواماً خارج المدينة، وأن الغلافات الثمينة استعملها الجنود الأتراك أحذية لهم[1].

فلا غرابة أن نجد الذين استولوا على الحكم بعدهم كالأيوبيين الذين حكموا مصر والشام واليمن من عام 1169م إلى عام 1260م والمماليك على اختلاف جنسـياتهم الذين حكموا مصر وبعض الشام من عام 1250 إلى عام 1517م لا ينسـون فضـائل الدولة الفاطمية التي كانت راعية للعلم والعلماء ومشجعة أهل الإبداع، ويتخذون من مبدعي وفناني الدولة الفاطمية أساتذة لهم.

8- الخط العربي في العصر العثماني

ورث العـثمانيون الخـط عن مدرسة تبريز التي ازدهرت ليس في الخط فحسـب، وإنمـا في صناعة الكتاب أيضاً، بل ونشطت فيما يتعلق بالكتاب من صـناعة الورق والكرتون والخط والزخرفة والتجليد والرسوم والتذهيب وغير ذلـك. وكان لأساتذتهم الإيرانيين الفضل في هذا التفوق الذي أحرزوه، فصاروا لهـم أنـداداً، وصار الأتراك يمثلون مدرسة مستقلة ذات شهرة متميزة في خط الثـلث، ولكـبار الخطـاطين الأتـراك مصاحف كثيرة محفوظة إلى الآن في المـتاحف التركية، وخاصة في متحف الأوقاف في استانبول، حيث أضافوا إلى هذا الخط الجميل زخرفة وتجليداً أنيقين.

وراح خطـاطو الأتراك يبدعون في خط المصاحف الصغيرة التي توضع فـي الجيب، وحيث أن الدولة العثمانية دولة خلافة إسلامية سنيّة فإنها شجعت

---

(1) *الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص133).*

علـى انتشار الخط العربي بأنواعه، بحيث (انتحل الترك أنفسهم الخط العربي، ولا تجـد في تركيا إنساناً على شيء من التعليم لا يستطيع أن يفهم لغة القرآن بسهولة)[1].

ونـال الخطـاطون احـترام الخلفاء، فنالوا منهم الحظوة، وأغدقوا عليهم العطايـا، وجعلوهم من المقربين منهم، وأسندوا لهم العمل في الدواوين التابعة للدولة، وبرواتب عالية. لكنهم رغم هذا الاحترام والإكرام لم يبلغوا ما أوصلهم إليـه العـرب مـن مكانـة حين عيّنوهم في مناصب وزاوية مراراً كما حدث للخطاط ابن مقلة مثلاً.

لقد امتلأت مساجد الخلافة العثمانية بالخطوط الرائعة، والزخارف الجميلة لكـبار الخطاطين الأتراك، وغير الأتراك الذين استقطبتهم دار الخلافة العثمانية للعمل في عاصمة الدولة برواتب عالية.

وفـي الفـترة المتأخرة لهذه الخلافة برز خطاطون طبّقت شهرتهم العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، وخلدوا لنا لوحاتهم الرائعة.

أولهم : الخطـاط الشـيخ حمـد الله الأماسي الذي يعتبر إمام الخطاطين الأتراك.

الثاني : الخطـاط الحـافظ عـثمان الملقب جلال الدين الذي كتب خمسة وعشـرين مصحفاً بيده. وقد طبع مصحفه الشريف في سائر البلاد العربية والإسلامية، وخاصة في دمشق فقد تبنته مطبعتان عريقتان همـا مطـبعة الملاح والمطبعة الهاشمية، ولأكثر من نصف قرن طبعتا عشرات الطبعات بعضها مهمّش بتفسير الجلالين، أو أفردوا أجزاءه في طبعات مستقله.

الثالث : الخطـاط رسـا الذي خط لوحات في المساجد التركية، ومساجد بلاد الشام وغيرها لا تزال باقية لوحاتها المعدنية أو المرقومة على الجدران الجصية أو المنحوتة على الرخام.

إن العصر العثماني هو عصر نضوج الخط العربي في العصور المتأخرة، ونستطيع أن نسميه العصر الذهبي للخط العربي وذلك لأسباب كثيرة منها:

أ- أن الدولـة العثمانية دولة واسعة المساحة، جمعت الجنسيات والألسن والألوان البشرية المختلفة تحت مظلة الإسلام.

---

(1) *الخط العربي للدكتور جنسي (ص93).*

2- أن فترة حكمها طالت حتى بلغت أربعة قرون.

3- كـــانت تعتـــبر التصـــوير حـــراماً، لذلك شجّعت الخطوط والزخارف والنقوش لسد فراغ تحريم التصوير.

4- كان الخلفاء يقربون منهم العلماء والأدباء والمبدعين، ويستقطبونهم إلى عاصـــمة خلافـــتهم، ويغدقون عليهم المنح والعطايا المختلفة، بل نجد بعض الخلفاء قد تتلمذ على أيدي الخطاطين، وأخذوا عنهم مبادئ الخط العربي.

5- كان (خطاط السلطان الخاص يتقاضى أربع مائة ليرة عثمانية ذهباً في الشهر)[1].

6- بـــلغ الشـــعب الـــتركي مـــن الترف ما جعل ذوي الإبداع يعملون في قصورهم النقوش والزخارف والرسوم بمبالغ عالية.

7- استطاع الخطاطون الأتراك في ظل تكريم الدولة لهم، وإغداقها العطايا عـــليهم، أن يبـــتكروا خطوطـــاً جديـــدة كالرقعة والطغراء والديواني وغيرها.

فلا غرابة أن نجد كبار الخطاطين الأتراك يتظاهرون في شوارع العاصمة اســـتانبول استنكاراً لاستقدام أول مطبعة للدولة العثمانية وهم يحملون محابرهم وقصـــباتهم في نعش، ويطوفون بها شوارع المدينة[2] لقناعتهم أن الآلة الطابعة ستقضي على روح الإبداع والجهد الفردي الذي يزاوله الخطاطون.

وبرزت في ساحة الخط العربي في تركيا أسماء خطاطين احتلوا الصدارة إلى الآن مـــنهم: ســـامي (1330هـــ) وعبد الله الزهدي (1296هـــ) وإبراهيم علاء الدين (1305هـــ) ومصطفى نظيف (1331هـــ) وحامد الآمدي (1980م) وحقي (1365هـــ) ومحمد أمين (1372هـــ) ومصطفى أرقم، وإسماعيل زهدي شـــقيق الخطـــاط راقم ومصطفى عزت، ومحمد شوقي، وأحمد كامل، ومحمود يازر، وعبد العزيز الرفاعي وغيرهم.

إن رحـــلة الخطاطين الأتراك مع الخط العربي رحلة طويلة، أظهروا من خلالهـــا مقدرتهـــم الفـــنية في رفد الخطوط العربية القديمة بخطوط عربية من ابـــتكارهم حملت أسماءهم. وسيبقى تاريخ الخط العربي يفخر بما قدّمه الأتراك

---

(1) كيف نعلم الخط العربي (ص38).

(2) المرجع السابق.

من خدمات جلّى لهذا الفن البديع.



9- الخط العربي في إيران

استطاع الفنانون الإيرانيون أن يبدعوا في الفن التصويري لمضامين المخطوطات الفارسية والعربية، كما نجحوا في تجويد الخط وتحسينه وتطويره، فقد امتاز الخطاط الإيراني بالجودة والإتقان، وكان في أغلب أحيانه مبدعاً في لوحاته، مبتكراً في إنتاجه، عبقرياً في بحثه العميق.

ابتكر الخطاطون الإيرانيون الخط الفارسي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ثم ابتكروا خط (النستعليق) من الخط الفارسي والنسخ والتعليق، وكان هذا الابتكار بجهود الخطاط الكبير عماد الدين الشيرازي الحسني، إذ وضع له قاعدة اشتهرت باسمه فيما بعد فسمّيت (قاعدة عماد).

كما حوّروا الخط الكوفي (فأصبحت المدّات فيه أكثر من الجرّات)[1].

واشتهرت مدينة مشهد بخط النستعليق حتى كادت أن تسبق جميع المدن الإيرانية، ووقفت مشدوهاً أمام تلك الخطوط في هذه المدينة وخاصة في جامع الإمام الرضا ذي القباب الذهبية في ربيع عام (1416هـ 1996م) خلال زيارتي الأولى لإيران.

وقد رأيت إبداعات أولئك الخطاطين الإيرانيين في مشهد تفوق ما قدّم غيرهم، فالخطوط التي نقشت على القباب والمآذن تحكي قصة الإتقان والجودة. وقد أجاد الخطاطون في نقش الخطوط وزخرفتها على قطع السيراميك في شوارع المدينة على كثرتها، بحيث يرى السائر فيها أنه في متحف مفتوح للخط العربي.

أما مدينة أصفهان التي يقول أهلها أنها (نصف جهان) أي نصف العالم فهي عاصمة الدولة الصفوية التي خلفت لنا خطوطاً ولوحات وزخارف يعتز بها كل مسلم، ويحق لهذه المدينة أن تتربّع على عرش الفن الإسلامي، برسومه، وخطوطه، وزخارفه. وذلك من خلال ما خلّفوه لنا من أوابد أصبحت بالنسبة لنا متاحف مفتوحة للمشاهدين والزوار.

من هذه الأماكن الأثرية التي احتوت خطوطاً رائعة:

---

(1) الخط العربي للدكتور فنسي (ص93).

1-الجامع الكبير في أصفهان (جامع الإمام).

2-جامع لطف الله.

3-الأربعون عموداً.

4-الجسـور الكـثيرة المنتشرة على نهرها الكبير (زينده رود) مثل جسر خـاجو. وشاهدت براعة الخطاط الإيراني الفنية قبل أن يكون خطاطاً في القباب والمآذن، والإيوانات والجسور، والحوزات، والمدارس، مما يجعل الباحث والزائر لهذه المدينة التاريخية يشهد لها بالفن والإبداع.

وقـد اهتم شاهات فارس وأمراؤها بالخط (فقد أنشأ الوزير المغولي رشيد الديـن ضـاحية سـماها (ربع رشيد) كذلك أصبحت هراة في عهد الصفويين عاصمة الخط والتصوير، وكان بهزاد معلم التصوير، وموجه الخطاطين)[1].

ولـم تقتصر أمور الخط والإبداع على الخطاطين الذين اعتمدوا الخط فناً ومهـنة، بـل تعدتهم إلى الأمراء والحكام وذوي السلطان، فقد كانوا يجدون في النسـخ والخط شرفاً وبركة ومجداً. فهم يعتزون بنسخ القرآن الكريم مسترشدين بـتوجيهات كـبار الخطاطين مثل (عضد الدولة البويهي، والشاه طهماسب، بل كـان الأمـراء مـنهم-الفرس- يتسابقون لمساعدة الخطاطين بأن يمسكوا لهم بالمحـبرة. أو يقدمـوا معونة بوضع الوسائد بمكانها، أو بإمساك الشمعدان)[2]. وكـأنهم بهذا الاحترام الزائد يقلدون أبناء ملوك العرب كالأمين والمأمون اللذين كانا يتسابقان لتقديم حذاء معلمهم ومؤدبهم الكسائي.

حقاً لقد أجاد الخطاط الإيراني أكثر مما نال من حظوة الشاهات والأمراء، وذلك لأن طبعه الفني مغروس فيه ومتوارث، فهو لا يتهالك من أجل أن يتقرب بخطوطـه وفـنه مـن الأمراء، وما حدث من ذلك فأمر عارض، لا يقصد به صاحبه أكثر من إيصال فنه وإبداعه إلى كبار المسؤولين في الدولة.

خط التعـــليق

---

(1) *الخط العربي للدكتور حنفي (ص95).*

(2) *المرجع السابق.*

10- الخط العربي في أوربا

دخــل الخــط العربي إلى أوربا من عدة محاور، وكان في كل مرة يحمل طابعاً يختلف عن سابقه، لأن ظروف دخول الخط تختلف في الزمان والمكان.

1-عن طريق آسيا الوسطى وبعد دخول العثمانيين مدينة القسطنطينية.

2-عــن طــريق الحمــلات الصليبية المتكررة على مشرق العالم العربي ومغــربه، براً وبحراً ومن دول مختلفة في اللسان والمذهب والقومية من أوربا.

3-عــن طريق الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي لها وانتشار الجامعات الكبرى فيها ودخول أبناء ملوك أوروبا فيها، ونقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عن طريقها.

4-عــن طريق صقلية حيث دخل العرب المسلمون إلى إيطاليا وحاصروا روما، وساحوا في كثير من مدن الدولة الرومانية.

وبذلــك أصــبحت أوروبا مدينة للعرب الذين أوصلوا لها الثقافة والمعرفة والعلوم إلى جانب الخط، واللوحة الفنية، والنقطة الحسابية(الصفر).

وأكــثر مــا نجــد ذلك في أبواب ونوافذ الكنائس والكاتدرائيات، وقصور المــلوك والأمــراء والنبلاء للزينة، وذلك في صقلية وإيطاليا وألمانيا وفرنسا، ودخلت كثير من هذه الخطوط متاحف روما وباريس وفيّنا وأمستردام، وهذا ما دعــا الكاتب الفرنسي مارسيه لأن يعترف بفضل العرب في الخط والفنون على أوروبــا حيــث يقول: (لقد كانت الحضارة العربية الإسلامية شديدة التغلغل في عالمــنا، حــتى أن العناصر الإسلامية طغت منذ نهاية القرن الحادي عشر في واجهــات الكنائس الرومية، ثم رأيناها فيما بعد تختلط في الكنائس القوطية مع العناصر الواردة من فرنسا)[1].

وقــد امــتدت فتوحات العثمانيين إلى وسط أوروبا، بل تعمقوا فيها غرباً فوصــلوا سويســرا، وأشادوا القلاع والحصون، وتركوا آثاراً وبصمات عربية

---

[1] *الخط العربي لبهنسي (ص115).*

اللســـان والحرف، لكنها عثمانية تركية المنشأ، ومن يزور متاحف أوروبا يقف مـــبهوتاً فـــي كل متحف لتلك الخطوط الرائعة والتـحف الشرقية المزخرفة التي نقـلها الصليبيون أو لصوص الآثار أو تجارها إلى متاحف تلك المدن الكبيرة، وهي في أصلها من دمشق وبغداد والقاهرة وإيران.

وقد شهدت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة بعظمة الخط والفن العربي فـــي كتابها شمس العرب تسطع على الغرب، الذي ينطق بكل حرف فيه بمقدرة الإنســـان العربي والمسلم على استمرارية العطاء الفني من خلال رسم الحرف العربي واللوحة الزخرفية سواء في مسجد أو متحف أو حمّام أو قبة ضريح، أو ثياب ملك.

ﮩﮩ

الباب الثاني :

أنواع الخط العربي

1-الخط الكوفي
2-خط الرقعة
3-خط النسخ
4-خط الثلث
5-الخط الفارسي
6-خط الإجازة
7-خط الديواني
8-خط الطغراء
9-خط التاج
10-الخط المغربي

ســار الخــط العــربي في رحلة حياته مسيرة طويلة، فقد نشأ نشأة عادية وبســيطة، ثم تطور مع تطور الحياة. وإذا ما حاولنا دراسة هذه الرحلة تبين لنا أن مســيرته قــبل الإسلام كانت بطيئة جداً بينما نجده يقفز قفزات سريعة بعد الإسلام ويصل إلى درجة الإبداع، حيث تناوله الخطاطون بالتحسين والتزويق، وأضفوا عليه من إبداعهم جماليات لم تخطر على بال فنان سابق، لما صبُّوا في الحرف العربي من قواعد ثابتة، وأصول يجب على الخطاط أن يلتزم بها ليكون خطاطاً ناجحاً.

وقــد استطاع الخطاط العربي أن يبتكر خطوطاً جديدة من خطوط أخرى فهــذا ابن مقلة يبتكر خط الثلث، لقد اشتقه من خطّي الجليل والطومار، وسمّاه فــي أول الأمــر (خــط البديع)[1] وقد استطاع أن يحسّنه ويجوّده حتى فاق فيه غيــره، واشــتهر بنيل قصب السبق فيه إلى عصرنا هذا، ولم يتجرّأ خطّاط أن يــتقدمه، فاعتــبره الخطــاطون فيمــا بعد مهندساً للحروف العربية، لأنه قدّر مقاييســها وأبعادهــا بالنقط، فلكل حرف أبعاده الثابتة، ولكل بُعد نقطه المحدّدة التي لا يجوز تجاوزها.

ثم جاء ابن البواب فزاده جودة وجمالاً، وأسبغ عليه من ذوقه.

واســتطاع الخطــاط الــتركي ممــتاز بك أن يبتكر خط الرقعة من الخط (الديواني) وخط (سياقت) حيث كان خط الرقعة خليطاً بينهما.

وقام الخطاط مير علي سلطان بتطوير وتحسين خط الإجازة.

وبرع الخطاط عثمان في الخط الديواني وفاق مبتكريه أيام السلطان محمد الفاتح.

وهكــذا اســتمرت رحــلة الخط جودة وتطويراً، وابتكاراً حتى كان الخط الحديث الذي ظهرت له الآن نماذج كثيرة خالية من القواعد والضوابط.

وقــد ســميت الخطوط العربية بأسماء المدن أو الأشخاص أو الأقلام التي كتــبت بهــا، وقد تداخلت هذه الخطوط في بعضها، واشتق بعضها من الآخر،

---

[1] تراجم خطاطي بغداد (ص64-65).

وتعـــددت رسوم الخط الواحد، فكانت لكثرتها تشكل فناً من الفنون التي أبدعها الخطـــاطون العظام كالخط الكوفي مثلاً، وقد تطورت هذه الخطوط نتيجة إبداع المهتمين بها والمتخصّصين بكل خط منها، فبلغت ذروتها لدى المتأخرين، وإن كـــان الأوائـــل قـــد نالوا قصب السبق فيها على جدران بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس.

1- الخط الكوفي

يعتبر الخط الكوفي من أقدم الخطوط، وهو مشتق من الخط النبطي (نسبة للأنباط) الذي كان متداولاً في شمال الجزيرة العربية وجبال حوران، وقد اشتقه أهـــل الحيرة والأنبار عن أهل العراق، وسمي فيما بعد بـــ(الخط الكوفي) حيث انتشـــر مـــنها إلى سائر أنحاء الوطن العربي، ولأن الكوفة قد تبنّته ورعته في البدء. وقد كتبت به المصاحف خمسة قرون حتى القرن الخامس الهجري، حين نافسته الخطوط الأخرى كالثلث والنسخ وغيرهما.

(وأقدم الأمثلة المعروفة من هذا الخط من القرآن نسخة سجلت عليه وقفية مؤرخـــة فـــي ســـنة (168هـــ= 784-785م) وهي محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة)[1].

كـــان الخطاطون والوراقون يزخرفون المصاحف وعناوين السور زخرفة جميـــلة، وبعضهم يزخرفون بداية المصحف ونهايته أيضاً بزخارف جد بديعة، مـــن مـــربعات ومســـتطيلات، وزخـــارف متعاشقة، وصور مقرنصات نازله وطالعة. وأشجار مروحية أو نخيل، مما يزيد جمال الخط جمالاً أخاذاً.

تمـــتاز حروف الخط الكوفي بالاستقامة، وتكتب غالباً باستعمال المسطرة طـــولاً وعرضـــاً، وقـــد اشتهر هذا الخط في العصر العباسي حتى لا نكاد نجد مـــئذنة أو مسجداً أو مدرسة أو خاناً يخلو من زخارف هذا الخط. (ويعتمد هذا الخـــط على قواعد هندسية تخفف من جمودها زخرفة متصلة أو منفصلة تشكّل خلفية الكتابة)[2].

وقد تطور هذا الخط تطوراً مذهلاً، حتى زادت أنواعه على سبعين نوعاً، كـــلها ترسم بالقلم العادي على المسطرة، ولم يعد وقفاً على الخطاطين، فقد برع

---

(1) الفنون الجميلة (ص175).
(2) الخط العربي أصوله.. د. عفيف بهنسي.

فيــه فــنّانون ونقاشون ورسامون، وغير مهتمين بالخط، بل برع فيه كثير من هواة الرسم والذوق، وابتكروا خطوطاً كثيرة لها منها (الكوفي البسيط، والكوفي المسـطّر- ويسـمى: المـربع، أو الهندسي التربيعي- والخط الكوفي المسطّر المـتأثر بالرسـم، والخـط الكوفـي المسطّر المتأثر بالفلسفة، والخط الكوفي المتشـابك، والكوفي المتلاصق، والكوفي المورّق. الذي قال عنه الخطاط كامل البابا: (لقد نفخ العربي في الحرف الحياة، وحوّله من جماد إلى نبات، تنبثق عنه أغصــان وأوراق وأزهار)[1]. والخط الكوفي المزخرف، والمزيّن، والمظفور، والكوفـي الأندلسـي والخـط الكوفـي الفـاطمي، والكوفي الأيوبي، والكوفي المملوكي. (وكان كتّاب الوحي يكتبون به آيات القرآن الكريم على سعف النخيل والجـلود ورقـائق العظام، وكان الناس في العصر الجاهلي والراشدي يكتبونه بشكل بدائي وبسيط، خالياً من النقط والهمزات والتشكيل)[2].

ويعتـبر الخط الكوفي أفضل أنواع الخطوط العربية للفن والزخرفة، وهذا ما دعا غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) لأن يقول: (إن للخط العربي شـأن كبير في الزخرفة، ولا غرو فهو ذو انسجام عجيب مع النقوش العربية، ولـم يسـتعمل فـي الزخـرفة حتى القرن التاسع الميلادي غير الخط الكوفي ومشتقاته كالقرمطي والكوفي القائم الزوايا)[3].

ولا يعتبر من يتقن هذا الخط خطاطاً بارعاً، بل يعتبرونه فناناً، لأنه لم يعد وقفـاً عـلى الخطاطين، بل برع فيه النحاتون على الرخام أيضاً، والمزخرفون على جدران الجص وغيره.

وقـد تـراجع الخـط الكوفي من واجهات الأبنية، وكتابات الخطاطين منذ القـرن السـادس الهجري، إذ راح الخط النسخي يحلّ محله شيئاً فشيئاً (ثم حل محـل الخط الكوفي القديم بالمنطقة المغربية الإسلامية خط جديد مازال يستعمل في المغرب وطرابلس وما بينهما، وعرف باسم الخط العربي)[4].

وراح هـذا الخـط يمـلأ عـناوين الكتب وخطوطها، ورؤوس الفصول والأبـواب والحواشـي فـي سـائر الكتب التي تنسخ من طرابلس إلى أقصى المغـرب، ومـن ثم إلى الأندلس، حتى أننا نجد هذا الخط في زخارف ونقوش

---

(1) *كيف تعلم الخط العربي (ص52).*

(2) *المرجع السابق (ص24-25).*

(3) *من تاريخ المكتبات (ص64-65).*

(4) *الفنون الجميلة (ص177).*

علـــى الحجـــر والجـــبس في الجدران والقصور والحصون والقلاع والمساجد، وعلى أبواب ونوافذ المنشآت الضخمة، وفي بيوت وقصور الأمراء والأثرياء.

وأشـــهر من كان يكتبه من الخطاطين المعاصرين المرحوم الأستاذ يوسف أحمد بمصر، وله به تخصص وإتقان)[1].

يســتعمل هــذا الخط بأنواعه المختلفة والكثيرة للزخارف والزينة، وأحياناً يغــوص الخطاطون فيه في التعقيد والإبهام، حتى ليصعب على القارئ العادي أن يقرأ كلمة منه. وكتبت به المصاحف على الرق حتى القرن التاسع الميلادي حيث ظهرت الخطوط الكوفية فيها غليظة ومستديرة، وذات مدّات قصيرة. وقد (استخدم الخط الكوفي في مصر والشام والعراق خلال القرن التاسع وشطراً من القرن العاشر الميلادي)[2]. واستمر استعماله حتى القرن الحادي عشر حيث قل اســتعماله فــي كــتابة القرآن الكريم، وأصبح خط النسخ بديلاً له، حيث بقيت البسملة في المصاحف بهذا الخط.



2- خط الرقعة

هو خط الناس الاعتيادي في كتاباتهم اليومية، وهو أصل الخطوط العربية وأســـهلها، يمتاز بجماله واستقامته، وسهولة قراءته وكتابته، وبعده عن التعقيد، ويعتمد على النقطة، فهي تكتب أو ترسم بالقلم بشكل معروف.

يقــول الــبعض: إن تسميته نسبة إلى كتابته على الرقاع القديمة، لكن هذه التســمية لم تلاق استحساناً لدى الباحثين الذين قالوا: (إن الآراء غير متفقة على بــدء نشوء خط الرقعة وتسميته، التي لا علاقة لها بخط الرقاع القديم، وأنه قلم قصير الحروف، يحتمل أن يكون قد اشتق من الخط الثلثي والنسخي وما بينهما، وأن أنواعه كثيرة)[3].

---

(1) تراجم خطاطي بغداد (ص100).
(2) الفنون الجميلة (ص175).
(3) من تاريخ المكتبات (ص65).

وكـــان فضل ابتكاره للأتراك قديم، إذ ابتكروه حوالي عام 850هـــ، ليكون خط المعاملات الرسمية في جميع دوائر الدولة، لامتياز حروفه بالقصر وسرعة كتابتها.

يستعمل خط الرقعة في كتابة عناوين الكتب والصحف اليومية والمجلات، واللافتات والدعاية. ومن ميزة هذا الخط أن الخطاطين حافظوا عليه، فلم يشتقوا مـــنه خطوطـــاً أخرى، أو يطورّوه إلى خطوط أخرى، تختلف عنه في القاعدة، كما هو الحال في الخط الفارسي والديواني والكوفي والثلث وغيرها.

ويعتـــبر خـــط الـــرقعة من الخطوط المتأخرة من حيث وضع قواعده فقد (وضـــع أصـــوله الخطاط التركي الشهير ممتاز بك المستشار في عهد السلطان عـــبد المجـــيد خان حوالي سنة 1280 هجرية، وقد ابتكره من الخط (الديواني) وخط (سياقت)

حيث كان خليطاً بينهما قبل ذلك[1].

إنَّ خـــط الرقعة هو الخط الذي يكتب به الناس في البلاد العربية عدا بلدان المغرب العربي عموماً، وإن كان بعض العراقيين يكتبون بالثلث والنسخ.



3 – خط النسخ

يعتـــبر خط النسخ من أقرب الخطوط إلى خط الثلث، بل نستطيع أن نقول: (إنـــه من فروع قلم الثلث، ولكنه أكثر قاعدية وأقل صعوبة، وهو لنسخ القرآن الكريم، وأصبح خط أحرف الطباعة)[2].

وهو خط جميل، نسخت به الكتب الكثيرة من مخطوطاتنا العربية، ويحتمل التشـــكيل، ولكـــن أقلَّ مما امتاز به خط الثلث. وقد امتاز هذا الخط في خطوط القرآن الكريم، إذ نجد أكثر المصاحف بهذا الخط الواضح في حروفه وقراءته،

---

(1) *تراجم خطاطي بغداد (ص80) عن تاريخ الخط العربي وآدابه (ص103).*

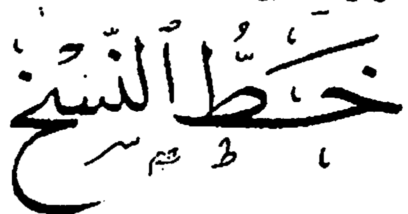
(2) *الخط العربي ـــ الدكتور عفيف بهنسي (ص53)..*

كما أن الحكم وَالأمثال واللوحات في المساجد والمتاحف كتبت به..

وخـــط النســـخ الذي يكتبه الخطاطون اليوم؛ هو خط القدماء من العباسيين الذيــن ابــتكرۡوا وتفننوا فيه، فقد (حسّنه ابن مقلة، وجودّه الأتابكيون وتفنن في تنميقه الأتراك، حتى وصل إلينا بحلته القشيبة، بالغاً حدّ الجمال والروعة).[1]

وتســتعمل الصــحف والمجلاّت هذا الخط في مطبوعاتها، فهو خط الكتب المطبوعة اليوم في جميع البلاد العربية. وقد طوّر المحدثون خط النسخ للمطابع والآلات الكاتــبة، ولأجهــزة التنضــيد الضوئي في الكمبيوتر، وسمّوه (الخط الصحفي) لكتابة الصحف اليومية به.

وأشـــهر خطـــاط معاصر أبدع فيه هو هاشم محمد البغدادي، فقد ظهرت بـــراعة قصـــبته فـــي كتابه (قواعد الخط العربي) الذي يعتبر الكتاب الأول في مكتبات الخطاطين الكبار والمبتدئين.



4- خط الثلث

يعتبر خط الثلث من أجمل الخطوط العربية، وأصعبها كتابة، كما أنه أصل الخطـوط العربـية، والميزان الذي يوزن به إبداع الخطاط. ولا يعتبر الخطاط فـناناً مالم يتقن خط الثلث، فمن أتقنه غيره بسهولة ويسر، ومن لم يتقنه لا يُعدّ بغيره خطاطاً مهما أجاد.

وقـد يتساهل الخطاطون والنقاد في قواعد كتابة أي نوع من الخطوط، إلاّ أنهـم أكـثر محاسبة، وأشد تركيزاً على الالتزام في القاعدة في هذا الخط، لأنه الأكثر صعوبة من حيث القاعدة والضبط.

وقـد تطـور خـط الثلث عبر التاريخ عما كان عليه في الأصل الأموي (الطومـار) فابـتكر مـنه (خـط المحقق) و(الخط الريحاني) خطاط بغداد ابن الـبوّاب. ثم خط (التوقيع) ثم خط (الرقاع) ثم خط (الثلثين) وهو خط أصغر من

---

[1] كيف نعلم الخط العربي (ص80).

خـــط الطومار. وخط (المسلسل) الذي ابتدعه الخطاط (الأحول المحرر) ثم خط الثلث العادي، وخط (الثلث الجلي) وخط (الثلثي المحبوك) والخط (الثلثي المتأثر بالرسم)، والخط (الثلثي الهندسي)، والخط (الثلثي المتناظر)[1].

اســتعمل الخطاطون خط الثلث في تزيين المساجد، والمحاريب، والقباب، وبدايـــات المصـــاحف. وخـــط بعضهم المصحف بهذا الخط الجميل. واستعمله الأدبـــاء والعلمـــاء في خط عناوين الكتب، وأسماء الصحف والمجلات اليومية والأســـبوعية والشـــهرية، وبطاقـــات الأفراح والتعزية، وذلك لجماله وحسنه، ولاحـــتماله الحـــركات الكثيرة في التشكيل سواء كان بقلم رقيق أو جليل، حيث تزيده في الجمال زخرفة ورونقاً.

يعتـــبر ابن مقلة المتوفى سنة (328هـــ)، واضع قواعد هذا الخط من نقط ومقاييس وأبعاد، وله فضل السبق عن غيره، لأن كل من جاء بعده أصبح عيالاً عليه.

وجـــاء بعـــده ابن البواب علي بن هلال البغدادي المتوفى سنة (413هـــ)، فأرســـى قواعد هذا الخط وهذّبه، وأجاد في تراكيبه، ولكنه لم يتدخل في القواعد التي ذكرها ابن مقلة من قبله فبقيت ثابتة إلى اليوم.[2]

وأشـــهر الخطاطيـــن المعاصرين الذين أبدعوا في خط الثلث هو المرحوم هاشم البغدادي رحمه الله.

ورغـــم أن الخطاطيـــن الإيرانييـــن قـــد سبقوا غيرهم في الخط الفارسي (النســـتعليق) إلا أنني رأيت عدداً من اللوحات الرائعة بهذا الخط في طهران، اســـتطاع الخطـــاط الإيراني أن يكسب فيها مقدرته الفنية، ويكسر الطوق الذي يقول: (إن إبداعه اقتصر على الخط الفارسي)..



---

(1) كيف نعلّم الخط العربي (ص60-77) وفيه طريقة كتابة كل خط.
(2) راجع الخط العربي (ص53) وتراجم خطاطي بغداد.



خط الثلث والنسخ ـــ أحمد قره حصاري ـــ القرن ١٦ ـــ استانبول

الخط العربي (ص60).

5 – الخط الفارسي

ظهر الخط الفارسي في بلاد فارس في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي. ويسمى (خط التعليق) وهو خط جميل تمتاز حروفه بالدقة والامتداد. كما يمتاز بسهولته ووضوحه وانعدام التعقيد فيه. ولا يتحمّل التشكيل، رغم اختلافه مع خط الرقعة.

وكان الإيرانيون قبل الإسلام يكتبون بالخط(البهلوي) فلما جاء الإسلام وآمنوا به، انقلبوا على هذا الخط فأهملوه، وكتبوا بالخط العربي، وقد (اشتق الإيرانيون خط التعليق من خط كان يكتب به القرآن آنئذ، ويسمى (خط القيراموز) ويقال : إن قواعده الأولى قد استنبطت من (خط التحرير) و(خط الرقاع) و(خط الثلث).[1]

وقد طوّر الإيرانيون هذا الخط، فاقتبسوا له من جماليات خط النسخ ما جعله سلس القياد، جميل المنظر، لم يسبقهم إلى رسم حروفه أحد، وقد (وضع أصوله وأبعاده الخطاط البارع الشهير مير علي الهراوي التبريزي المتوفى سنة 919 هجرية).[2] (ويحتمل أنه كان تلميذاً لزين الدين محمود، ثم انتقل مير علي سنة 1524م من هراة إلى بلاد الأوزبك في بخارى، حيث عمل على استمرار التقاليد التي أرستها مدرسة هراة في فنون الخط).[3]

ونتيجة لانهماك الإيرانيين في فن الخط الفارسي الذي احتضنوه واختصوا به، فقد مرّ بأطوار مختلفة، ازداد تجذراً وأصالة، واخترعوا منه خطوطاً أخرى مأخوذة عنه، أو هي إن صح التعبير: امتداد له، فمن تلك الخطوط:

1 ـ **خط الشكستة**: اخترعوه من خطي التعليق والديواني. وفي هذا الخط شيء من صعوبة القراءة، فبقي بسبب ذلك محصوراً في إيران، ولم يكتب به أحد من خطاطي العرب أو ينتشر بينهم.

2 ـ **الخط الفارسي المتناظر**: كتبوا به الآيات والأشعار والحكم المتناظرة في الكتابة، بحيث ينطبق آخر حرف في الكلمة الأولى مع آخر حرف في

---

(1) *كيف نعلم الخط العربي (ص82).*

(2) *تراجم خطاطي بغداد (ص83)، عن تاريخ الخط العربي وآدابه (ص104).*

(3) *الفنون الجميلة (ص184).*

الكلمـــة الأخـــيرة، وكأنهم يطوون الصفحة من الوسط ويطبعونها على يسارها. ويسمى (خط المرآة الفارسي)..

3 ـ **الخـــط الفارسي المختزل:** كتب به الخطاطون الإيرانيون اللوحات التي تتشابه حروف كلماتها بحيث يقرأ الحرف الواحد بأكثر من كلمة، ويقوم بأكـــثر من دوره في كتابة الحروف الأخرى، ويكتب عوضاً عنها. وفي هذا الخط صعوبة كبيرة للخطاط والقارئ على السواء[1].

لقـــد رأيت إبداع الإيرانيين في هذا الخط (الفارسي)، ويظهر ذلك الإبداع فـــي الأوابـــد الأثرية والمساجد والحوزات والمآذن والقباب، وقصور الشاهات الصـــفويين، وفـــي جمـــيع المـــدن التـــي زرتهـــا عام 1996، وهي طهران، أصـــفهان، مشهد الرضا، حيث رأيت ظاهرتين قد لا توجدان في بلد من بلدان العالم هما:

أولاً : نظافة المدن وجمالها وحسن تنسيق الشوارع وتنظيمها.

ثانياً : الخطوط والزخارف التي تملأ الشارع الإيراني.

يســـتعمل خـــط التعلـــيق (الفارســـي) في كتابة عناوين الكتب والمجلات والإعلانـــات التجارية، والبطاقات الشخصية واللوحات النحاسية.(ومن مميزاته ميل حروفه من اليمين إلى اليسار في اتجاهها من الأعلى إلى الأسفل).[2]

ومن وجوه تطور الخط الفارسي (التعليق) مع خط النسخ أن ابتدعوا منهما خـــط (النســـتعليق) وهو فارسي أيضاً. وقد برع الخطاط عماد الدين الشيرازي الحســـني فـــي هـــذا الخط وفاق به غيره، ووضع له قاعدة جميلة، تعرف عند الخطاطين باسمه. وهي (قاعدة عماد).

كمـــا اشتهر هذا الخط في مدينة مشهد حتى كان من أفضل الخطوط التي انفـــردت بها هذه المدينة، بل اشتهر خاصة في بلاد إيران دون غيرها. (ويمتاز الخـــط الفارسي باختلاف عرض حروفه، وبعض الحروف تكتب بثلث عرض القَطّة، كما يمتاز بعدم تداخل حروفه مع حروف قلم آخر)[3]..

وكـــان أشهر من كان يكتبه بعد الخطاطين الإيرانيين محمد هاشم الخطاط

---

[1] *الفنون الجميلة (ص180).*
[2] *الخط العربي (ص53) .*
[3] *تراجم خطاطي بغداد (ص83).*

البغدادي والمرحوم محمد بدوي الديراني بدمشق.[1]

ويبقى قصب السبق في هذا الخط للخطاطين الإيرانيين بلا -

6- خط الإجازة

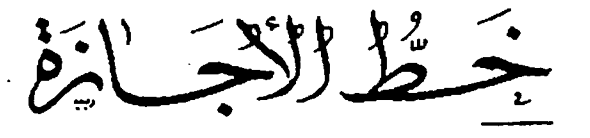
يعتبر خط الإجازة مزيجاً من خط الثلث والنسخ، فهو أصلهما، أو هما أصله على الأصح. وقد سمي بخط الإجازة لتجوز الخطاط في الجمع بينهما، وقد كان العلماء يكتبون به الإجازات العلمية، (وتكتب به الشهادة الممنوحة للمتفوقين في الخط)[2] ويعتبر هذا الخط من الخطوط القديمة.

اخترع هذا الخط الخطاط يوسف الشجري المتوفى سنة (200 هـ)، وسمّاه (الخط الرياسي) كما سمي (خط التوقيع) لأن الخلفاء كانوا يوقعون به (وكان يكتب به الكتب السلطانية زمن الخليفة المأمون).[3]

وقد تطور هذا الخط فيما بعد، فقد حسّنه الخطاط مير علي سلطان التبريزي المتوفى سنة (919هـ)، وكان الخطاطون ومازالوا يكتبون به إجازاتهم لتلاميذهم، أسوة بالقدماء، واستمراراً لاجتهاداتهم.

يستعمل هذا الخط في الأغراض التي يستعمل فيها خط الثلث. كما أنه يحتمل التشكيل كخط الثلث أيضاً (ويكون في ابتداء حروفه ونهاياتها بعض الانعطاف ويزيدها ذلك حسناً كأنها أوراق الريحان، ولذلك يسمى (الريحاني) أيضاً[4].

وقد قلّ الذين كتبوا فيه من المعاصرين، ومن هؤلاء القلّة محمد هاشم البغدادي رحمه الله..



(1) الخط العربي (ص53).

(2) كيف نعلم الخط العربي (ص100). تراجم خطاطي بغداد (ص77).

(3) تراجم خطاطي بغداد (ص77).

(4) تراجم خطاطي بغداد (ص77).

7- خط الديواني

يســمى هذا الخط (الخط الهمايوني) كما يسمى (الخط الغزلاني)، نسبة إلى الخطاط المصري (غزلان)..

ويعتبر الخط الديواني من الخطوط الجميلة، ولذلك اختاره الخطاطون في دواويــن المــلوك والخلفاء والرؤساء في المراسلات الداخلية والخارجية، كما اســتعمله الخطاطون للبطاقات الشخصية، والمستندات والشهادات، والمعايدات، ولوحات التحف الفنية والنحاسية وغيرها..

ولا يحتمل هذا الخط التشكيل، وله ميزة باستقامة سطوره من الأسفل.

وقــد اعتبره الخطاطون من الخطوط المطاوعة، إذ امتاز بطواعية حروفه بأقلام خطَّاطيه، فهي ليّنة، وتكتب دائرية.

لقــد ابتكره الخطاطون الأتراك، وبرعوا فيه وأجادوا، وأدخلوه في قصور خــلفائهم، وجعــلوا حروفه ملتوية جميلة، مما يبهر العين ويبهج القلب، وينهش النفس الذواقة.

عــرف هــذا الخط في (عهد السلطان محمد الفاتح سنة (857هـ)، وهو الخط العربي الفني الرشيق السهل، تكتب به الكتب السلطانية، وبرع به الخطاط عثمان، ومن أنواعه : الجلي الديواني، والسنبلي).[1]

وقد استطاع الخطاطون أن يبتكروا من هذا الخط خطوطاً أخرى[2] منها.

1 ــ **الخــط الديواني المترابط:** تتشابك في هذا الخط الحروف والكلمات، وقدأبــدع في هذا الخط الخطاط المصري (غزلان) فكتب فيه لوحات رائعة، وأطلق على هذا الخط (الخط الغزلاني) لبراعته فيه.

2 ــ **الخط الديواني الجلي:** ابتكر هذا الخط العثمانيون، وبرع فيه الخطاط (شيلان باشا) وسمي بجلي الديواني لوضوحه وجلاء حروفه وبيانها. وقــد كتــبت فيه المراسيم الملكية (الفرمانات) والرسائل الموجهة إلى الدول الأجنبية.

---

(1) *الخط العربي (ص57).*

(2) *كيف نعلم الخط العربي (ص93-99).*

ويعتبر هذا الخط من الخطوط الجميلة التي تكثر فيها النقاط والأوراق والأغصان، كما أن حروفه تتداخل بين بعضها، وتمتلئ الفراغات بين الحروف بهذا النوع الفريد من النقاط كتشكيلات زخرفية رائعة. ويكاد في بعض الأحيان أن يكون طلسماً عند غير الخطاطين، فلا يستطيعون قراءته.

وقد (ابتكره الخطاط التركي البارع إبراهيم منيف عقيب فتح القسطنطينية، وسماه (جلي الديواني) أو (خفي الديواني).[1]

واستعمله الخطاطون في مجالات الترف والزينة، وكتبت به المستندات والصكوك، والشهادات العلمية، والعملات الورقية، والبطاقات الشخصية أحياناً، وكان العثمانيون قد استعملوه بعد فتح القسطنطينية لشيوعه في السجلات الرسمية والدواوين، وقد كاد أن يكون خاصة لكبار الحكام والوظائف العالية الرفيعة.

وتظهر جمالية هذا الخط في السطر أكثر منها في الكلمة:

(أشهر من كان يكتبه من الخطاطين المعاصرين النابغة المرحوم هاشم محمد البغدادي والشيخ عزيز الرفاعي بمصر، والشيخ نسيب مكارم في لبنان).[2]

3 ـ **الخط الديواني الجلي المحبوك**: حيث جعل الخطاط نسبة الفراغ بين الحروف بقدر عرض ريشة الخط.

4 ـ **الخط الديواني الجلي الهمايوني**: وقد اختص بهذا الخط خطاطو الأتراك، وجعلوه للوحات الفنية المتميزة. وخاصة التي تصدر عن السلاطين.

5 ـ **الخط الديواني الجلي الزورقي**: وهو خط جميل يتضمن لوحة فنية جميلة في أغلب الأحيان، تكون سفينة لها شراع أو مجداف أو سفّان يديرها.



---

(1) تراجم خطاطي بغداد (ص91).
(2) تراجم خطاطي بغداد (ص91) .

8- خط الطغراء

ويسمى (خط الطُرَّة)، وهو خط ولوحة جميلة، بشكل إبريق قهوة أو نحوه، كان خاصاً بالسلاطين، ثم كتبه الخطاطون لغيرهم، ويكتب عادة بخط الثلث، أو خــط الإجازة. وقد أُحدث هذا الخط في أواخر العصر العباسي كنوع من أنواع فن الخط وتطوّره..

ورغـــم أن الطغراء كاد أن يكون من خطوط السلاطين العثمانيين، إلا أنّ الممـــاليك قـــد اســـتعملوه، (لكـــن الســـلاطين العـــثمانيين هـــم الذين اختصوا باستعماله).[1]

ويشترط الخطاطون المبدعون لهذا الخط أن تكون في أعلاه ثلاثة ألفات أو لامـــات، وقبضة كقبضة الإبريق، ومن القبضة في اليسار يتيامن خطّان ليشكّلا فوهة الإبريق.

وقـــد انقـــرض هذا الخط بزوال الدولة العثمانية، لكن الخطاطين مازالوا يكتبون البسملة به، من باب حفظ الأثر، ويعدّونه من بدائع الخط العربي.

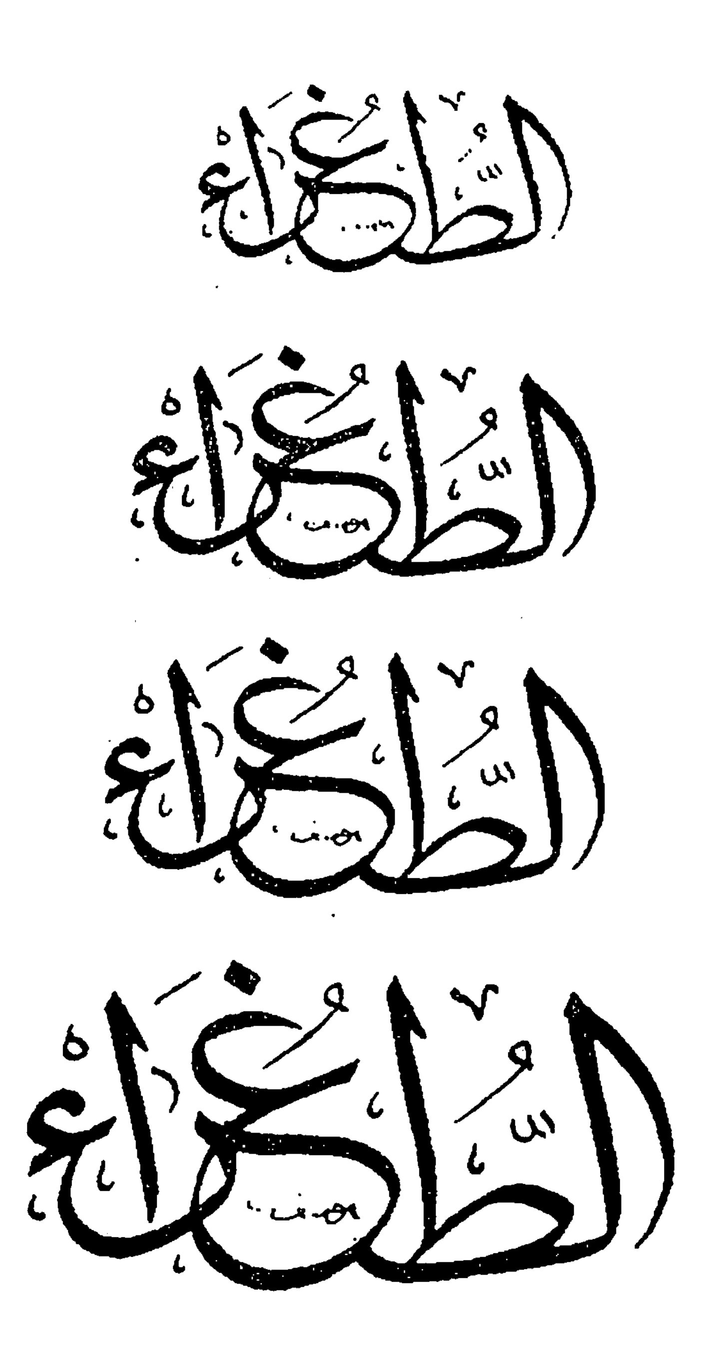
(تكـــتب به الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، والحكم والأمثال، والأقوال المأثورة، ويجب أن تكون كلها على هيئة واحدة)[2].

إن انقـــراض هـــذا الـــنوع مـــن الخطوط العربية يذكرنا بزوال كثير من الخطوط التي كانت معروفة في عصري الخلفاء الأمويين والعباسيين.

---

(1) الخط العربي (ص57) .

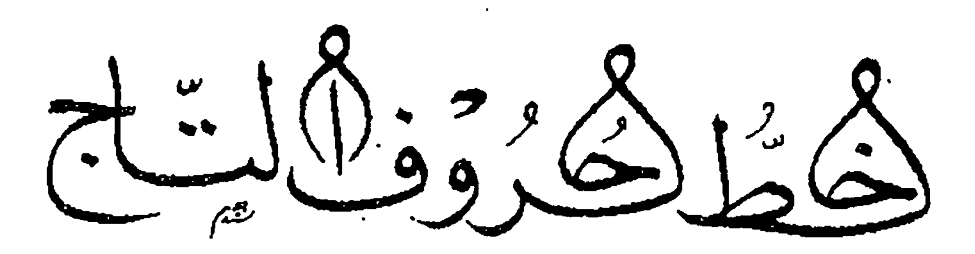
(2) تراجم خطاطي بغداد (ص94).


الطغراء
الطغراء
الطغراء
الطغراء

9- خط التاج

هــو نفسه خط النسخ، إلاّ أن الخطاطين طوّروه. وهذا التطوّر كان بإيعاز مــن الملــك المصري فؤاد الأول سنة (1349 هـــ ـــ 1925م)، للخطاط محمد محفــوظ، حيث جعل هذا الخطاط الحرف الأول من السطر تاجاً، كما جعل هذا الــتاج فــي أســماء الأعــلام، وابتداء الكلام، لكن الخطاطين الذين جاؤوا بعد الخطــاط محمــد محفوظ لم يلتزموا بما ابتدعه لهم، فصاروا يتوّجون كل كلمة يريدونها.

يعتــبر خط التاج من الخطوط التي لم يحالفها الحظ في الانتشار في العمل الفنــي، والــتجاري، والزخرفــي، بل بقي مجاله منحصراً خلال فترة إبداعه، وانتشر فيما بعد بين الخطاطين كنوع من أنواع الخطوط المتطورة. بل نجد أن بعض الخطاطين قد كتبه أيضاً في مجموعاته (من خط الرقعة أيضاً، ولكن خط الرقعة لم يكتب له الذيوع أبداً).[1]



10- الخط المغربي

يعتــبر الخــط المغربي من الخطوط المحلية في المغرب، إذ لم يستسغه خطــاطو الشام ومصر والعراق وفارس، وقد حل هذا الخط محل الخط الكوفي الذي كان سائداً في بغداد حتى القرن الخامس الهجري، وهذا الخط يحمل أسماء أخرى كالخط القرطبي، والخط الأندلسي[2]. غير أن شهرته بالخط العربي أعم.

---

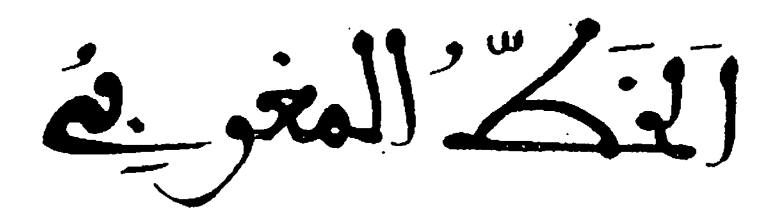
(1) تراجم خطاطي بغداد (ص97)..

(2) تراجم خطاطي بغداد (ص97).

يمــتاز باســتدارة حــروفه اســتدارة كبيرة. وقد تطور هذا الخط بعد أن ازدهــرت الأندلــس فــي القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فطغى جمال الخط المغربــي علــى سائر الخطوط الأخرى. وانتعش في القيروان مع انتعاشه في الأندلس، لوثوق الروابط بين المغرب العربي والأندلس.

وبعــد القرن التاسع الهجري هبط الخط البياني لهذا الخط في تونس، وكاد يغيــب جمالــه فــيها، وإن لــم تغب تلك الزخارف الجميلة التي كانت توشي المصــاحف والكتب الأخرى، وخاصة الطبّية، فقد (قلّت العناية بالخط المغربي في المصاحف التي كتبت في غرناطة وفاس في القرنين الرابع عشر والخامس عشر)[1] الميلاديين.

وقد أصبح هذا الخط الآن أثراً بعد عين..



---

[1] الخط العربي (ص57).

الباب الثالث :

أدوات الخطاطين

1 ـ القلم
2 ـ أنواع الأقلام
3 ـ الحبر
4 ـ صناعة الحبر
5 ـ الورق
6 ـ المحو واللطع
7 ـ سكين الخطاط

1- القلم

هو أداة الكتابة والخط، ويسمي في لغة العرب (المِزْبَر) و(المِذْبَر). يقال : زَبَرْتُ أي كتبتُ، وذَبَرْتُ: أي قرأتُ.

(وسـمّوه قلماً لأنه قُلِمَ، أي: قُطِعَ وسُوِّيَ كلما يُقلَّم الظُفْر. وكل عود يُقطع ويُحزُّ رأسه، ويُعَلَّمُ بعلامة فهو قلم).[1]

وكـان العـرب يصـفون الشيء بمثيله، فقد قيل لأعرابي: ما القلم؟ ففكر ساعة، وجعل يقلِّب يديه وينظر إلى أصابعه ثم قال: لا أدري.

فقيل له: توهَّمه في نفسك.

فقال: هوعُود قُلِم من جوانبه كتقليم الأظفار[2].

ومرَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي حكيمة وهو يكتب المصاحف فقال له: (أجلِل قلمك. فقصم من قلمه قصمة.

فقال علي: هكذا نوِّره كما نوَّره الله).[3]

وقد وصف ابن عبد ربه الأندلسي جماعة يكتبون فقال:

ومعشـر تـنطق أقلامهـم	***بحكمـة تلقـنها الأعْيُـن***
تـلفظها فـي الصَّـكِّ أقلامهم	***كأنمـا أقلامهـم[4] ألسـنُ***

فالقـلم هـو الذي يتكلم بما يفكر به العبقري، ويدوّن ما بعقله من حكمة، ولذلك كان أرسطو طاليس يقول: (عقول الرجال تحت سن أقلامهم).[5]

لقـد استعمل العرب جريد النخل الأخضر للكتابة وتفننوا في دِقّته وبَرْيه

---

[1] *الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد للبطليوسي (ص84).*
[2] *المصدر السابق (ص85).*
[3] *العقد الفريد (196/4).*
[4] *المصدر السابق (195/4).*
[5] *العقد الفريد (196/4).*

بالشكل والحجم الذي فيه يرغبون، فلما أعزّهم الله بالإسلام الذي حثّ على طلب العلم، ودعا للكتابة والقراءة والتدوين؛ استعملوا القصب في الخط، واتخذوا أقلامهم منه. ثم رأوا بعد توسع الفتوحات الإسلامية أن القصب يختلف من مصر إلى مصر، وأن قساوته وليونته تساعد الخطّاط والكاتب في جودة الخط وإتقانه، وتبيّن لهم أن القصب الفارسي هو أفضل أنواع القصب، لأنه (يكون صلباً قوياً مدوّراً سليماً غير معقد ويكون لون قشرته أحمر ضارباً للسواد).[1]

وقد كان الخطاطون يميزّون بين قصب أيّ قُطر وآخر، ويميزون بين صحيحه من سقيمه، ولذلك نرى ذا الرُّمة يصف قلم القصب، ثم يشبّهه بأنف الطير جمالاً ودقّة فيقول:

كأن أنوف الطير في عرصاتها خراطيم أقلام تخطُّ وتُعجم[2]

وكان هذا النوع من القصب يُزرع، أو ينبت في الهند وبلاد فارس، فكان التجار يجلبونه إلى العراق والشام مع ما يجلبون من بضائع تلك البلاد إلى بلاد العلم، فيتلقّفه الورّاقون والكتبة في أسواق الكتب في مدن العراق والشام ومصر والأندلس.

وبعد أن برعوا في صناعة الورق والحبر اخترعوا قلم الحبر السائل، الذي يمتاز بخزان صغير للحبر وقبضة، وله ريشة مدببة. وقد استعمل هذا القلم لأول مرة في مصر، وكتب به المعز لدين الله الفاطمي. ثم تفننوا في صناعة الأقلام والمحابر وطوّروها، لكن الخطاطين مازالوا يخطّون بالقصب لأسباب كثيرة، قد لا تتوفر في أي قلم آخر من المعدن، أو أية ريشة من مادة أخرى.

فالريشة المعدنية تفرض على الخطاط عرض الخط، بينما يتصرف الخطاط في ريشة القصب بالشكل الذي يرغب؛ من حيث البري والقط، ولأن القصب من تركيبه النعومة والسلاسة، ووجود المسامات فيه تسمح بنزول الحبر قليلاً قليلاً، وبقدر ما يكتب الخطاط ويستهلك من الحبر المخزّن فيها.

بينما قلم الخط المصنوع من المعدن؛ فربما يُنزل من الحبر كثيراً عند بداية الخط، بينما يُنزل حبراً بطيئاً بعد ذلك، وربما إذا أسرع الخطاط فإنه لا ينزل من الريشة حبر يكفي الخط.

---

(1) تراجم خطاطي بغداد (ص35).

(2) العقد الفريد (194/4).

2- أنواع الأقلام

كـــان العرب في العصرين الأموي والعباسي يكتبون رسائلهم وخطوطهم بأقلام معروفة، فلا يجوز ما يُكتب بهذا أن يكتب بذاك.

يقول ابن مقلة: (للخط أجناس كان الناس يعرفونها ويعلّمونها أولادهم على ترتيب ثم تركوا ذلك، وزهدوا فيه كزهدهم في سائر العلوم والصناعات).[1]

ويبين لنا الخطاط ابن مقلة هذه الأقلام ومهمة كل قلم منها:

فقلم الثلثين : لكتابة السجلات.

وقلم ثقيل الطومار وقلم الشامي: يكتب بهما ملوك بني أمية.

ومُفتّح الشامي: يكتب به بنو العباس حين تركوا ثقيل الطومار والشامي.

وقـــلم الرئاسي: الذي أمر به المأمون أن يكتب بقلم النصف ويباعد مابين ســـطوره، فصارت المكاتبة عن السلطان بقلم النصف والقلم الرئاسي، والمكاتبة بين الوزراء إلى العمال بقلم الثلث، وكذا من العمال إلى الوزراء، ومن الوزراء إلى السلطان بقلم المنشور عوضاً عن مُفتّح الشامي.

وقلم الرقاع: وهو صغير الثلث، للحوائج والظلامات.

وقـــلم الحلـــبة وغبار الحلبة وصغيرهما: للأسرار والكتب التي تنفّذ على أجنحة الأطيار.

ويذكـــر ابـــن مقلة أن أغلب أهل عصره لا يعرفون أكثر هذه الأقلام، وقد بلغت أنواع الأقلام واحداً وعشرين نوعاً، كل نوع له ما يناسبه[2].

وقـــد ابـــتكر الخطـــاط البغدادي إسماعيل الفرضي مجموعة من الأنابيب المعدنيـــة، وراح يقطهـــا كأقلام القصب، ثم جعل لها (جلفة) مشروحة بعد أن قضى مدة يبريها بالمبرد[3].

قـــد انفـــرد بهـــذه الوســـيلة التي استحدثها لنفسه، لكن غيره لم يسلك هذا المسلك.

---

[1] الاقتضاب (ص87).

[2] راجع الاقتضاب (ص 87-90)..

[3] تراجم خطاطي بغداد (ص36-232).

وقد وصف الشيخ الخطاط محمد بن حسن السنجاري قلم الخط وكيفية قَطّه فقال:

طـوّل لهـا الجـلفة بالسّكين ... وشُـقّها فـي الوسـط بالـتمكين

واجعـل لهـا شـحيمة لطيفة ... مـن بطـن قشـر ولـتكن خفيفة

وإن تكـن قشـرتها سـمينة ... فاسـلُب لهـا الشحمة[1] بالسّكينه

وشـجّع الخطاطون تلاميذهم على قط القلم وصفاء رأسه، واعتبروا جودة الخط في قط القلم، وأن الخطاط لا يمكن أن يكون ناجحاً مالم يكن يحسن القطّ وبـري القـلم، حـتى أن بعض كبار الخطاطين ــ كابن البواب مثلاً ــ كانوا يحـتفظون بسرّ قطّ القلم لأنفسهم، فكانوا لا يقطّون الأقلام أمام تلاميذهم، ولعل ذلـك يعـود لإتقانهم لتلك المهنة، وليدفعوا تلاميذهم لتعلّمها بأنفسهم. وبلغ من أنانية بعض الخطاطين أنه (إذا أراد أن ينصرف من ديوانه قطع رؤوس أقلامه حتى لا يراها أحد).[2]

وعـابوا على الخطاط الذي لا يحسن بري القلم وقطّه، بل ذمّوه، حتى أن أحد الشعراء قال يذم خطاطاً لا يحسن بري القلم وقطّه:

دخيـل في الكتابة ليس منها ... فمـا يـدري دبيـراً مـن قبيل

إذا مـا رام للأنـبوب بَـرْيَاً ... تـنكبَ عاجـزاً قصـد[3] السّبيل

وكـان الخطـاطون والكـتّاب يكـثرون السؤال عن الخط والقَط والمداد والقـرطاس، فـلا يبدأ أحدهم في عمل ما لم يتقنه. وكانوا يكثرون التردد على أهـل الصـنعة، ويراسـلون مَنْ كان بعيداً عنهم، فقد كتب جعفر بن يحيى إلى محمـد بـن الليث يطلب منه الإيضاح في القلم والبري والحبر والورق لتحسن كتابته، وتجود خطوطه فكتب إليه الليث يقول:

أما بعد:

فـليكن قلمك بحرياً، لا سميناً ولا رقيقاً، مابين الرِّقّة والغلَظ، ضيّق النقب. فابره برياً مستوياً كمنقار الحمامة، اعطف قَطّته، ورقّق شفرته.

وليكن مدادك صافياً خفيفاً إذا استمددت منه، فانقعه ليلة ثم صفّه في الدواة.

---

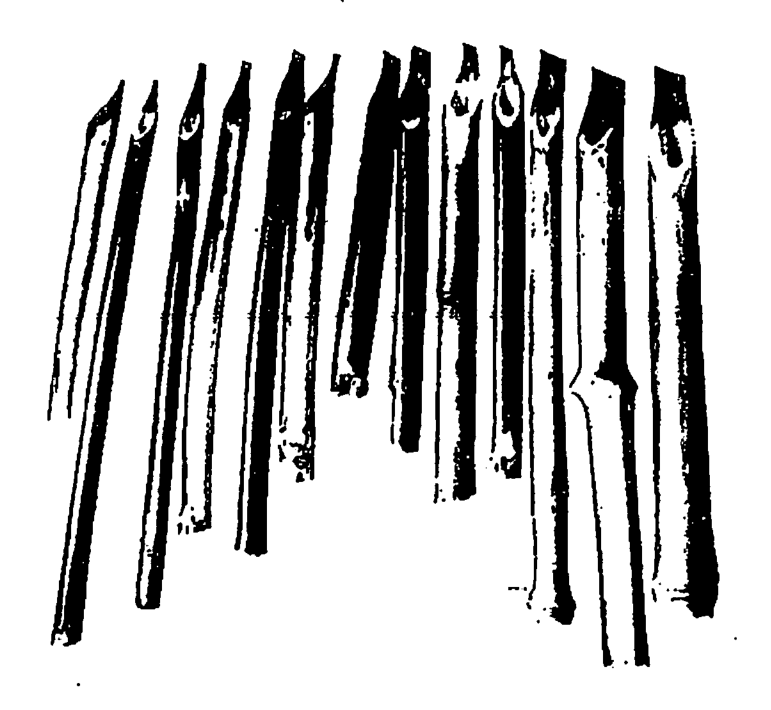
(1) تاريخ الخط العربي (ص428) ..

(2) تراجم خطاطي بغداد (ص39).

(3) تراجم خطاطي بغداد (ص41).

وليكـــن قرطاســك رقــيقاً مُستَوِيَ النّسْجِ، تخرج السَّحاة مستوية من أحد الطرفيــن إلــى الآخر، فليست تستقيم السطور إلاّ فيما كان كذلك، وليكن أكثر تمطــيطك في طرف القرطاس الذي في يسارك، وأقلّه في الوسط، ولا تمطّ في الطــرف الآخر، ولا تمطّ كلمة ثلاثة أحرف أو أربعة، ولا تترك الأخرى بغير مطّ، فإنك إذا فرّقت القليل كان قبيحاً، وإذا جمعت الكثير كان سمجاً....).[1]

ويسترســل محمــد بن الليث في نصيحته لجعفر، فيحدثه عن كيفية كتابة الحــروف حــرفاً حرفاً ليحسن الخط وتجود كتابته. كما تغنى الأدباء والشعراء بالقلم، وجعلوه واسطة العقد في عالم المعرفة والفن، والترجمان لما يريد الأديب والعــالم مــن مسـموع إلى مكتوب فقالوا: (القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات مختلفة)[2].



أنواع قصبات الخط

الخط العربي (ص77)

---

[1] العقد الفريد (196/4).

[2] العقد الفريد (191/4).

3- الحبر

استعمل الخطاطون الحبر الأسود، بينما استعمل أصحاب الرسم والزخارف الأحمر والأزرق الأخضر وغيرها.

وامتاز الخطاطون والورّاقون بصناعة أحبارهم بأيديهم، وقليل منهم كان يشتري الحبر من دكاكين الكتبيّة.

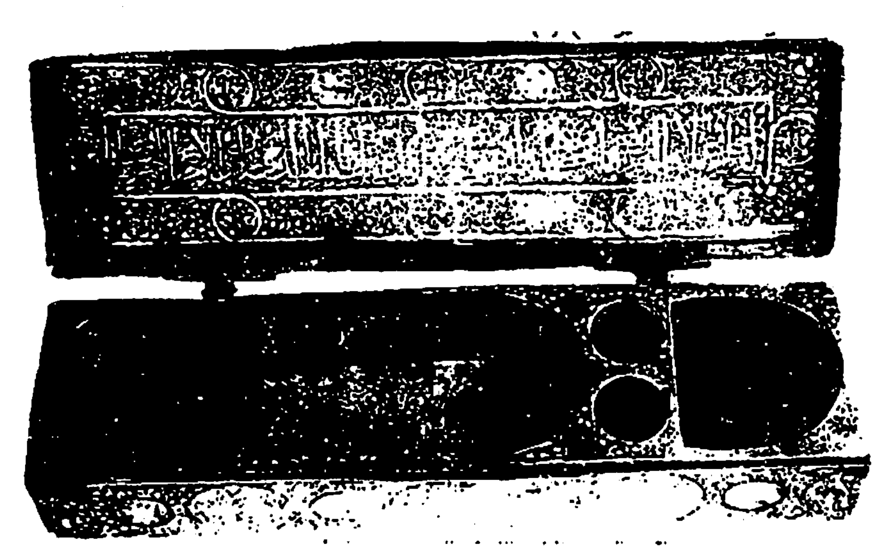
. وكانوا يحترمون الحبر والدواة، ويضربون بهما المثل، ويُعطون من يعيرهما هِبة أو عطية، فقد (أتى رجل إلى وكيع بن الجرّاح وأخبره بحُرمة له عنده.

قال وكيع: وما حرمتك؟

قال الرجل: كنت تكتب من محبرني عند الأعمش..

فوثب وكيع ودخل منزله، ثم أخرج له بضعة دنانير وقال له:

اعذر فما أملك غيرها)[1].



دواة من النحاس المطعم بالفضة والذهب "متحف اللوفر باريس".

(1) العقد الفريد (201/4).

4- صناعة الحبر

يصـــنع الحـــبر من الورد الجوري، حيث يوضع في قدر كبيرة، ثم يُغلى بالماء الحار حتى ينحل. ويقطر منه ماء الورد، ثم تؤخذ البقية (لحثالة) ويوضع فيها حديد صدئ فيفاعل معها بالتأكسد، ويتبدل لون الحثالة إلى أسود، ثم تجفف هــذه الحثالة حتى تكون كالفصوص، ثم تطحن جيداً وتذاب بالماء الحار فتكون حبراً أسوداً، يضاف إليها قليل من الصمغ العربي حتى لا يلتصق الحبر بالورقة عــند الكتابة، ولا يسقط بالنفط أو النفخ، كذلك ليكتسب الحبر من الصمغ لمعاناً، ويضاف إلى الحبر قليل من الملح)[1].

ويضـــع الخطاط الحبر في المحبرة، ثم يضع في المحبرة قليلاً من خيوط الحريــر وتســـمى (لـــيقة) أو (طُرّة) تقوم هذه الخيوط بتأمين كمية محدودة من الحبر للقصبة.

كمـــا أن الحـــبر ضـــمن هذه الليقة يختمر فيشتد لونه أكثر مما هو أسفل المحـــبرة وهناك أمر أهم من ذلك كله، ألا وهو أن الخطاط حين يغمس القصبة أو القلـــم في محبرة الزجاج أو المعدن، فإن الريشة (طرف القلم) تلامس أسفل الدواة فتتأثر بذلك.

وهناك طريقة أخرى لصناعة الحبر من الدخان المتجمّع في المدافئ، حيث يؤخـــذ هـــذا الدخان الكثيف (السخام) ويطبخ في وعاء ثم يضاف إليه كمية من الصـــمغ العربي، والعفص، والملح، وبعض الخطاطين يضيف ماء قشر الرمان بدلاً من العفص، ثم يغلي جيداً ويُصفى.

ويصف ابن البواب الحبر وطريقة صناعته فيقول شعراً:

وألِـــقْ دواتـــك بالدخـــان مدبّـــراً	*بـــالخل أو بالحصـــرم المعصـــور*
وأضـــف إلـــيه مُغْـــرَةً قد صُوِّلت	*مـــع أصـــفر الزرنـــيخ والكـــافور*
حـــتى إذا مـــا خُمِّـــرت فاعمد إلى	*الـــورق النقـــي الـــناعم المخـــبور*
فاكبســـه بعد القطع بالمعصار كي	*يـــنأى عـــن التشـــعيث والتغيـــير*

[1] تراجم خطاطي بغداد (ص46-47).

ثـم اجعـل التمـثيل وابك صابراً ... مـا أدرك المـأمول مـثل[1] صبور

والحبر المصنوع من سخام النفط أفضل من غيره.

قال الوزير ابن مقلة: (أجود المداد ما اتّخذ من سخام النفط)[2].

وقـال ابن الجوزي: (كان ابن مقلة على المائدة، فلما غسل يده رأى على ثوبـه نقطـة صفراء من الحلوى، فأخذ القلم وسوّدها وقال: تلك عيب وهذا أثر صناعة. وأنشد:

إنمـا الزعفـران عطر العذارى ... ومـداد الـدواة عطـر الرجال[3]

وقال جعفر بن محمد لفتى على ثيابه أثر مداد وهو يستره:

لا تجـزعنّ مـن المـداد فإنـه ... عطـر الـرجال وحـلية الكُتّاب[4]

وقـال بعض الأدباء: عطّروا دفاتر آدابكم بجيّد الحبر، فإن الأدب غواني، والحـبر غوالـي)[5] وكانوا يختارون الألوان المناسبة للخطوط والصور التي تتخـلل كتـبهم، ولهم طريقة ناجحة في صنع الأحبار الملونة، وتمازج الألوان، واشـتقاق من كل لون ألواناً أخرى تختلف درجاتها عن الأصل، وذلك بإضافة مسحوق نباتات أو أزهار أو عفص، أو أتربة، أو حشرات ملونة.

لقـد صنعوا الأحبار من المواد الملوّنة التالية: اللون الأزرق: صنعوه من النيلة أو الصبر.

اللون الأصفر: صنعوه من الزعفران أو الليمون.

اللون الأحمر: من الشمع المذاب لحشرة البق المرقّط.

اللون الزيتوني: من خلط الأزرق بالزعفران

اللون الأخضر: من مزج الزعفران بالزنجبار[6]

اللون البنفسجي: من الأزرق والأحمر[7]

---

(1) الخط العربي (ص84)

(2) صبح الأعشى (476/2)

(3) المنتظم (296-295/13)

(4) العقد الفريد (200/4)

(5) المصدر السابق.

(6) الزنجبار: هو صدأ النحاس أو البرونز. ويسميه العامة في منطقة وادي الفرات: الجنزار.

(7) الكتاب العربي منذ نشأته (ص91).

ووصف أحد الخطاطين الأدباء حياته البائسة فقال:

(عيشـــي أضـــيق من محبرة) وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الـــزجاج، ووجهـــي أشـــد سواداً من الحبر، وحظّي أحقر من شقّ القلم، ويدي أضـــعف مـــن قصـــبة، وطعـــامي أمرّ من العقص، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ)[1].

5- الورق

يعتـــبر الـــورق المـــادة الرئيســـية للخط، فقد استعمل النسّاخ والخطاطون لوحـــاتهم الفنية والزخرفية قبله على رقائق الحجارة، والجلود وأوراق البردي، وبعـــد أن نقل العرب صناعة الورق عن الصينيين، ازدهرت الكتابة وانتشرت صـــناعة الكـــتاب انتشـــاراً مذهلاً، فنقلوا هذه الصناعة في تجاراتهم إلى أوربا وجزر البحر الأبيض المتوسط، وإلى أفريقيا وسائر بلاد المشرق.

كـــان المصريون يستعملون البردي لصنع الحبال والحصر والألبسة، وقد رأى العباســـيون أن يقيمـــوا مصـــنعاً لصناعة ورق البردي في العراق، وكان المعتصـــم هو أول من فكّر في ذلك، فقد أسس منزلاً ملكياً في سماوة على نهر دجـــلة، وقـــد جـــلب له العمال المصريين، والخبراء بصناعة البردي، لكن هذه التجربة باءت بالفشل[2].

كـــان الخطـــاطون يســـمّون ورق البردي المصنوع في مصر بـــ (ورق الطومار) فلما صنعوا الورق من القطن ولحاء الشجر راحوا يسمّون هذا النوع من الورق بـــ (الكاغد) حيث اشتهرت به سمرقند، ومنها انتقل إلى بغداد، حيث أمـــر هارون الرشيد بفتح معمل مثله في بغداد، فحلّ ورق الكاغد محل "الرّق" الـــذي كان يستعمل في الدواوين والمراسلات، فلما انتهى استعمال ورق البردي (الطومار) راح الناس يقولون: إن كواغيد سمرقند عطّلت قراطيس مصر.

وكـــان الخـــليفة الأمـــوي الوليـــد بن عبد الملك أول من كتب على ورق الطومـــار (البردي) وأمر أن تكون كتبه ورسائله ذات صفة رسمية، وأن يكون الخـــط والورق جيّدين، وكان يقول عن كتبه والكتب التي ترد إليه (تكون كتبي

---

[1] *أدب الكاتب للصولي (ص97).*

[2] *راجع الكتاب العربي منذ نشأته (ص84).*

والكتب إليّ خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض)[1].

وحيث أن الورق قليل في بداياته (طومار أو كاغد) وأنهما يستوردان بتكلفة عالية، فقد أمر الخلفاء في الاقتصاد عند استعمالها، فقد أمر عمر بن عبد العزيز كُتّابه أن يجمعوا الخط في حجم صغير، فكانت كتبه بطول شبر أو نحوه.

وحينما شكا إليه بعض ولاته قلة القراطيس كتب إليه يقول: (أن دقّ، وأقلل كلامك، تكتف بما عندك من القراطيس).

قال يوسف بن صبيح الكاتب حين دخل على أبي جعفر المنصور: (... فسلّمت، فأدناني وأمرني بالجلوس، ثم رمى بربع قرطاس وقال لي: أكتب وقارب بين الحروف، وفرّج بين السطور، واجمع خطّك، ولا تسرف في القرطاس...)[2].

وإلى جانب معمل الورق في بغداد، كانت بلاد الشام سبّاقة إلى صناعة الورق، فقد أُنشئت عدة معامل للورق في دمشق وطرابلس الشام، وطبرية، كما اشتهرت الفسطاط (القاهرة) بصناعة نوع من الورق يسمى (المنصوري).

وكان لبغداد في القرن التاسع شهرة بصناعة نوع من الورق الممتاز الذي يسمى (البغدادي) كان هذا النوع من الورق يمتاز باللّيونة والطراوة والثّخن، وكانت المصاحف تكتب به، وقد استعمله الخلفاء والوزراء في دواوينهم، وقد بيّن القلقشندي في كتابه صبح الأعشى درجات جودة الورق الذي يصنع في البلاد العربية فقال: (كان أعلى أجناس الورق (البغدادي) ويستعمله كتّاب الإنشاء في المكاتب السلطانية، ودونه في الرتبة الورق الشامي، ودونه في الرتبة الورق المصري، ودون ذلك ورق أهل المغرب والفرنجة، فهو رديء جداً، سريع البلى، قليل المكث...)[3].

وقد خضعت تسميات الورق إلى أسماء الحكام والأمراء والمقاطعات التي أنشئ فيها معمل الورق، أو عصر الحاكم الذي حكم، فكانت أنواعه كثيرة، ومختلفة جودة ولوناً، وانتشاراً، وذكر ابن النديم أنواعه وهي:

1-الفرعوني: الذي كان يحاكي الورق المصري (ورق البردي)

---

[1] *الوزراء والكتاب للجهشياري (ص47) كما في تراجم خطاطي بغداد (ص58).*

[2] *المرجع السابق (ص59).*

[3] *صبح الأعشى (488/2).*

2-**السليماني**: الذي سمي باسم المراقب المالي لهارون الرشيد في خراسان.

3-**الجعفري**: نسبة للوزير جعفر بن يحيى البرمكي

4-**الطليحي**: نسبة إلى طلحة بن طاهر والي خراسان من سنة 822 إلى 828م.

5- **الطاهري**: نسبة إلى طاهر بن عبد الله والي خراسان من 844 إلى 862م

6-**النوحي**: نسبة إلى نوح بن ناصر من الأسرة السامانية التي حكمت ما وراء النهر بين الفترة (942-954م).

لقد كانت صفائح الورق كصفائح البردي تلصق ببعضها، وتباع بشكل لفّات يقطعها من يستعملها بالشكل الذي يناسبه، أو أن صانعي الورق كانوا يقطعونها بحجم واحد، ويجعلونها بشكل ربطة فيها خمسة وعشرون صحيفة تسمى (دست) وهي كلمة فارسية ترجمت إلى العربية بكلمة (كف)[1].

إن الخطاط يتفنن في نوع الورق كما يتفنن في جودة خطّه، فهو يختار القلم والحبر والدواة، والورق كما يشاء، وحينما لا يكون الورق جيداً فإن الخطاط يقوم بصقله وتلميعه وسدّ المسامات فيه حتى لا ينتشر الحبر، فيحافظ الحرف على حجمه.

وقد استعمل الخطاطون عدة أساليب لصقل الورق، منها:

1-أن يدهن الورق بزلال البيض (البياض) دهناً جيداً، ثم يمسح بخرقة ناعمة نظيفة.

2-أن يصقل الورق بعظم العاج وهذه الطريقة البسيطة قد درج عليها الخطاطون في بغداد ودمشق وغيرهما، مما جعلهم يخلّدون على صحائف هذا الورق بدائع خطوطهم، ولوحاتهم، وأشعارهم التي أصبحت بالنسبة لمن جاء بعدهم، لوحات تراثية رائعة.

وقد استعمل العرب والمسلمون طرائق مختلفة لصقل الورق وتلميعه وعدم السماح له بامتصاص الحبر السائل. منها:

أنه بعد أن يصبح بشكل رقائق، يُملس ليكون بثخانة واحدة، ثم تُفرك هذه

---

(1) *الكتاب العربي منذ نشأته (ص91-92).*

الصـــفائح بخليط من الجريش الناعم، والنشاء المبلّل بعد سحقه وتليينه في الماء البـــارد، ومـــن ثـــم تحريكه في ماء يغلي، حيث تملأ الفراغات الموجودة على صـــفحائح الورق بهذه المادة الممزوجة، ثم تُصقل على لوح خشبي بمصقل من العقيق، أو من الزجاج، وهذه العملية تسمى "المعالجة"[1].

وكان صانعوا الورق يلوّنونه بألوان مختلفة، وبحسب اللون الرائج أو علي طـــلب الـــزبون، لكـــن طريقة التلوين تختلف عن صباغة الورق الملون حالياً، فالورق الحديث يلوّن مع العجينة، كان استعمال الورق الملون قليلاً فهم يلوّنون الكمية المطلوبة منهم، وبإحدى الطريقتين التاليتين:

الطـــريقة الأولى: أن تغمس هذه الصفائح في أحواض سائلة ملونة باللون المطـــلوب، عـــدة مرات، حتى تتشرب الصفائح هذه الألوان، ثم تجفف وتصقل بمصاقل خاصة.

الطريقة الثانية: أن تفرك هذه الصفائح بمادة صبغيّة[2].

6- المحو واللطع

امـــتاز الخطـــاطون العظام بمحو الحرف الزائد أو النقطة حالما وقعوا في الخطـــأ، وذلك قبل أن يمتص الورق الحبر، وذلك بقصد محوه. وكانت لهم عدة طرائق لمحو تلك الأخطاء منها:

1- أن يمسحه بإصبعه حالما وقع في الخطأ.

2- أن يـــتركه حـــتى يجـــف فيحكّه ثم يصقل الورق بأداة خاصة ويكتب الحرف من جديد.

3- أن يقـــوم الخطـــاط بلطع الحرف الذي أخطأ فيه، وهذه الطريقة قديمة، وشـــائعة عند خطّاطي العرب قبل غيرهم. وقد دوّنوها في أبياتهم، فقد كـــتب أبو نواس أبياتاً من الشعر لجارية راسلته، وقد ظهر آثار المحو واللطع في رسالتها، فقال:

أكثري المحو في الكتاب ومحّيـــه بـــريق اللســـان لا بالبـــنان

[1] الكتاب العربي منذ نشأته (ص90).

[2] المرجع السابق (ص91).

وأمــرّي الخــزام بيــن ثــناياك العــذاب المفلّجــات الحســان

إننــي كلمــا مــررت بســطر فــيه محــو لطعــته بلســاني

فــأرى ذاك قــبلة مــن بعــيد أســعدتني ومــا برحــت[1] مكاني

وكــان الخطــاطون يعــتزون بمحابــرهم فيــنمّونها ويعطرونها، بأجمل الزخارف، وأحسن العطور، كالمسك والزعفران، وذلك ليسهل عليهم اللطع عند الخطأ، فلا يستكرهون رائحة الحبر.

ولشدة حبهم للخط، وكراهية الخطأ فيه كانوا يمحون الخطأ بكُمّ ثوبهم.

(كتــب إبراهــيم بــن العباس كتاباً، فأراد محو حرف منه فلم يجد سبيلاً، فمحاه بكُمّه.

فقــيل له في ذلك، فقال: المال فرع، والقلم أصل، فهو أحق بالصون منه، وإنما بلغنا هذه الحال واستفدنا الأموال بهذا القلم والمداد)[2].

وهــذا يعنــي أن الخــط فن في مقدمة الفنون التي كانت تدرّ ربحاً وجاهاً للخطاطين.

7- سكين الخطاط

كــل أداة لبري الأقلام تسمى (مبري) أو (مبراة) لكن الخطاطين يستعملون الســكين كــأداة فــريدة ومتميزة عن بقية أدوات الخط التي يعتزون بها لتجويد الخــط، فهــم يعــيرون ويهــدون من أقلامهم ومحابرهم وأحبارهم وأوراقهم لأصدقائهم وتلاميذهم، لكنهم لا يفعلون ذلك بالسكين إلاّ ما ندر.

ولهــم أمــزجة مخــتلفة في اقتناء السكين التي تناسبهم، وقد وضعوا لها مواصفات منها:

1-أن لا تكون صغيرة ولا كبيرة.

2-أن تكون قبضتها تملأ اليد.

3-أن تكون متوسطة الحجم.

---

[1] أدب الكاتب للصولي (ص127)

[2] أدب الكاتب للصولي (ص127).

وقـد وصـفها أحـد الخطاطين فقال: (ينبغي أن تكون لطيفة القدّ، معتدلة الحد)[1].

والسكين رفيقة الخطاط في حلّه وترحاله، وقد وصفها الخطاطون الشعراء في أشعارهم، وتحدثوا عنها بما يشفي غليلهم، فهي التي تحدد لهم نوع الخط وحجمه، وهي التي ترافقهم في الحل والسفر.

ﮋﮊ

---

[1] صبح الأعشى في صناعة الإنشا (467/2).

الباب الرابع :

الخطاطون العظام

1-ابن مقلة..
2-ابن البواب..
3-ياقوت المستعصمي..
4-الحافظ عثمان
5-هاشم البغدادي..
6-حامد الآمدي..

ابن مقلة

272-328هـ / 866-940م

بلغ الكتاب أوجه في العصر العباسي، وانتشرت صناعة الورق وتفننوا في قـط القـلم، وحـددوا له أنواعاً لكل خط، والتقى الأدباء والفنانون في دكاكين الوراقين بالفنانين والخطاطين.

وكـثرت الخطوط، وكثر الخطاطون، فكان لا بد من وضع المقياس الثابت لـلخط، لإدراك صحيحه من سقيمه، فكان فارس هذا الميدان شاب عاش عيشة البسـطاء، ومـن عائلة بسيطة رغم أنها كانت مشهورة بالخط وقد توارثته قبله وبعده.

هذا الخطاط الذي كان فيصلاً لمن قبله وبعده، هو أبو علي محمد بن علي ابن حسن[1] بن مقلة[2].

مولده ونشأته

ولد ابن مقلة (في بغداد بعد عصر يوم الخميس في عشرين من شهر شوال سنة 272هـ - 866م)[3].

(ومقلة اسم أمه كان أبوها يرقّصها فيقول: يا مقلة أبيها، فغلب عليها)[4].

وكـان هـذا الاسم يرافق العائلة بأسرها، كما أن الخط قد رافقها فقد (كان أخـوه مـليح الخط، وأبوه أيضاً، وله ولأخيه ذرية كانوا ممن يحسنون الخط،

---

(1) في وفيات الأعيان وأعلام الزركلي وغيرهما (حسين).

(2) سير أعلام النبلاء (224/15 ت 86) وتحفة أولي الألباب (ص62) والأعلام (273/6).

(3) سير أعلام النبلاء (229/15) وتحفة أولي الألباب (ص62) ووفيات الأعيان (117/5 ت 698) وشذرات الذهب (311/2) وفي دائرة المعارف الإسلامية (393/1-886م).

(4) معجم الأدباء (28/9).

لكنهم لم يبلغوا محمد بن مقلة)[1].

وكان أخوه الحسن (أبو عبد الله) منقطعاً إلى بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسنَ القيام، وقد أخطأ ياقوت الحموي حين نسب لسيف الدولة أنه فقد خمسة آلاف ورقة من خط أبي علي بن مقلة وهي في الحقيقة لأبي عبد الله الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة[2].

ذلك لأن أبا علي بن مقلة لم يطأ حلب.

أخذ أبو علي عن كبار علماء عصره في بغداد علوم الأدب واللغة (وروى عن أبي العباس ثعلب، وأبي بكر بن دريد)[3].

فكان من نتيجة همته العالية وطموحاته المتواصلة أن صعد سلّم ريادة الخط، فكان رائد الخط العربي في العصر العباسي، كما صعد سلّم السياسة فكان وزيراً أكثر من مرة، وقد أودت به طموحاته إلى السقوط، فقد قطعت يده التي كان يخط بها، كما دخل السجن بسبب سياسته الهوجاء فقضى حياته فيه، ومات بين جدرانه بائساً.

في الوزارة

صحيح أن ابن كثير قال عنه: كان في أول عمره ضعيف الحال، قليل المال)[4] إلا أنه استطاع أن يغير تلك الحال البائسة إلى أفضل حال. وأن ينثر المال حتى في غير أماكنه كما ينثر التراب، فقد كان في أول أمره أن أصبح جابياً لخراج بعض أعمال بلاد فارس، فتغيرت أحواله من سيء لحسن، ومن حسن لأحسن، وبلغت سمعته الحسنة الخليفة المقتدر، فلما شغر منصب الوزارة التي كان يتسلمها علي بن عيسى، سمّي للخليفة ثلاثة ممن يرشحهم هذا المنصب وهم: (الفضل بن جعفر بن الفرات، وأبو علي بن مقلة، ومحمد بن خلف النيرماني، فقيل للخليفة المقتدر: أما ابن الفرات فقد قتلنا عمه الوزير أبا الحسن وابن عمه، وصادرنا أخته ولا نأمنه، وأما ابن مقلة فحدث غرٌّ لا تجربة له بالوزارة ولا هيبة له في قلوب الناس، وأما محمد بن خلف النيرماني فجاهل

---

(1) معجم الأدباء (30/9).

(2) المرجع السابق (9/28-32).

(3) سير أعلام النبلاء (224/15 ت 86).

(4) البداية والنهاية (207/11).

متهوّر ولا يدفع عن صناعة الكتابة والمعرفة)[1].

وأحب ابن مقلة أن يكون وزيراً للمقتدر، وبذل في سبيل ذلك ما يملك من دهاء وخبرة في السياسة، فأرسل إلى الأنبار ومعه خمسون طائراً لنقل الأخبار[2] التي كانت تحدث سريعاً، وتكاد تهدد جسم الدولة لكثرة الأحداث والفتن، فكانت الأخبار تأتيه على أجنحة الأطيار، فقيل للخليفة: (هذا فعله ابن مقلة فيما لا يلزمه، فكيف إذا اصطنعته؟) فولاّه المقتدر الوزارة على ما سمع عنه.

استلم ابن مقلة الوزارة فقرّب منه أصدقاءه وأقاربه، (فكان يعينه في تدبير أمور الوزارة أبو عبد الله البريدي لمودّة كانت بينهما)[3] وكان ذلك سنة (316 هـ) وبعد سنتين وأربعة أشهر أمر الخليفة أن يقبض عليه وأن تصادر أملاكه، ثم نفاه إلى بلاد فارس، وأحرق داره ليلاً، ونهب الناس ما فيها من حديد وأثاث وحجارة ليلاً[4].

وفي عيد الأضحى سنة (320هـ) استوزره الإمام القاهر بالله، وبقي وزيراً له إلى أول شعبان سنة (321هـ) حيث بلغ الخليفة أن ابن مقلة قد تعاون مع ابن بليق للفتك بالخليفة، فاستتر واختفى عن أعين الناس، وكان ابن مقلة قد ضاق ذرعاً بالخليفة، وراح ينشر بين الناس دعاية سيئة ضده لخلعه (وطاف البلاد متنكراً يؤلّب الناس عليه)[5].

ويبدو أن هذه التحركات المريبة التي كان يتحركها ابن مقلة ضد الخليفة القاهر قد أعجبت الخليفة الذي جاء بعده وهو الراضي بالله، فلما تولى الخلافة الراضي بالله في السادس من جمادى الأولى سنة (322هـ) جعله وزيراً بعد ثلاثة أيام من توليه الخلافة[6].

إسرافه وبذخه

حين نتتبع حياة ابن مقلة نجده ولد فقيراً، وعاش مطلع شبابه حياة هي

---

(1) مجلة العربي العدد 298- (ص94) ذو القعدة 1403هـ- 1983م.
(2) هذه الطيور هي الحمام الزاجل، التي كانت تقوم بإيصال الرسائل، وتقوم بدور البريد الآن.
(3) الكامل في التاريخ (184/8).
(4) المرجع السابق (218/8).
(5) دائرة المعارف الإسلامية (393/1-394).
(6) وفيات الأعيان (114/5 ت 698).

أقرب منها للبؤس من الرخاء والنعيم، لكننا نجده عاش عيشة الوزراء المتخمين والملوك، بعد أن بلغ مبلغ الرجال وأصبح وزيراً. كما نلاحظ أنه قد جمع مالاً كثيراً من خلال ولايته في فارس، وتوليه الوزارة ثلاث مرات لثلاثة من الخلفاء. وكانت له صور من البذخ لم يسبقه إليها غيره، فخلال توليه الوزارة الأولى (كان يصرف لشراء الفاكهة خمس مائة دينار في كل يوم جمعة)[1].

وكان يحب تربية الحيوانات والطيور، ويعتني بزراعة الأشجار المثمرة، وقد تحدث ابن كثير عن بستانه الذي ملأه أشجاراً وطيوراً وحيوانات فقال: (كان له بستان كبير جداً، عدة أجربة– أي فدان)[2].

وكانت الشبكة التي يغطي بها البستان من الحرير، وتحتها صنوف الطيور مما يتجاوز الوصف[3].

تحدث عن هذا البستان ومحتوياته ابن الجوزي فقال: (كان يفرخ فيه الطيور التي لا تفرخ إلاّ في الشجر، كالقماري، والدباسي، والهزار، والببغ، والبلابل، والطواويس، والقبج، وكان فيه من الغزلان وبقر الوحش، والنعام، والإبل، وحمير الوحش)[4].

وكان يعمل في هذا البستان عمال وخدمة للشجر والطيور والحيوانات وقد شاهد أحد هؤلاء العمال ازدواج طائر بحري على طائر بري، ولاحظهما ملاحظة دقيقة، فلما أيقن تفريخهما، أسرع إلى ابن مقلة وبشره (بأن طائراً بحرياً وقع على طائر بري فازدوجا وباضا وأفقسا، فأعطى من بشره بذلك مائة دينار ببشارته)[5].

وقد ذم ابن كثير بذخ ابن مقلة، وأشار إلى زوال تلك النعمة التي كان ينعم بها وقال: (هذه سنة الله في المغترّين الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء والغرور)[6] وذكر أبياتاً لأحد الشعراء المعاصرين له، يذم فيها بذخه حين بنى قصره الشهير وبستانه. يقول فيها:

---

(1) *سير أعلام النبلاء (228/15).*
(2) *البداية والنهاية (208/11).*
(3) *سير أعلام النبلاء (228/15).*
(4) *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (395/13) والبداية والنهاية (208/11).*
(5) *المنتظم (395/13).*
(6) *البداية والنهاية (208/11).*

قـل لابـن مقـلة لا تكـن عجلاً *واصـبر فـإنك فـي أضـغاث أحلام*

تبـني بأحجُـر دور الناس مجتهداً *داراً سـتهدم قنضـاً بعـد أيـام*

مـا زلت تختار سعد المشتريّ لها *فكـم نحـوس بـه من نحس بهرام*

إن القـران وبطليموس ما اجتمعا *فـي حال نقض ولا في حال[1] إبرام*

حقـاً لقـد لاقى ابن مقلة إبان ولايته ووزارته نعيماً لا يكاد يوصف، ولم يكـن عـاقلاً في سياسة تلك النعمة، فانقلبت عليه وبالاً ونقمة، وجعلته عبرة لم يعتبر.

محنة ابن مقلة

مـن مصائب الأمراء أنهم لا ينزلون العلماء والأدباء منازلهم ويعتبرونهم كـبقية الدهمـاء، ويجرون عليهم القانون الذي يجري على المجرمين والسوقة، وهـذا مـا جرى لابن مقلة حين رفع يده يعلن الرفض، وقال بلسانه: لا ثم لا. وكان يومها وزيراً للخليفة الراضي بالله.

لقد كانت بين ابن مقلة والمظفر بن ياقوت وحشة وأحقاد، وكان ابن ياقوت مستشـاراً للخـليفة ومقرّباً من مجلسه. فحاك ابن ياقوت مؤامرة ضد ابن مقلة، وأمـر غـلمانه بالقـبض عليه إذا مرّ في دهليز دار الخلافة، وأقنع الغلمان أن الخـليفة راض عـن عمله، فلما مرّ ابن مقلة في الدهليز هجم عليه ابن ياقوت والغـلمان فاعتقـلوه وقبضوا عليه، وذلك يوم الاثنين 14 جمادى الأولى سنة (324هـــ – 936)[2] ثم أرسل ابن ياقوت بياناً للخليفة لسبب الاعتقال عدّد فيه ذنوبـه وأخطاءه التي تستدعي ما فعله به. ووافق الخليفة على تقرير ابن ياقوت وعـزل ابـن مقلة عن الوزارة، وقلّدت لعبد الرحمن بن عيسى الذي راح يهين ابـن مقـلة، ويضـربه بالمقارع، ويكيل له ألوان التعذيب من التعليق بالحبال والضرب وغير ذلك، ثم أفرج عنه.

وراح ابـن مقـلة يتردد على ابن رائق وكاتبه، وأخذ يتذلل لهما لاستعادة أملاكه وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين، فواعده، فلما يئس من تلك المواعيد، راح يـتهم ابـن رائق في كل مكان، ثم راح يكتب للخليفة مثالب أمير أمرائه،

---

(1) المرجع السابق

(2) دائرة المعارف الإسلامية (394/1).

ويطـلب مـنه أن يقبض عليه، وأنه إذا ما أعاده إلى الوزارة، وقُبض على ابن رائق فإنه سيقدم للخليفة ثلاثة ملايين دينار.

ثـم راح يراسـل (بجكم التركي) يُطعمه في موضع ابن رائق، وكتب إلى (وشمكير) بمثل ذلك وهو بالري، لكن الخليفة لم يكن راضياً عن تصرفات ابن مقلة المريبة، وكان يعده بإعادة أملاكه كمواعيد أمير أمرائه[1] لأنه غير راض عمن راسلهم ابن مقلة خارج بغداد.

وذهـب ابـن مقلة إلى الخليفة، فاعتقله وحبسه في حجرة ثم استدعى ابن رائـق، وأخبره بما جرى، وطلب ابن رائق من الخليفة قطع يد ابن مقلة اليمنى التي راسل بها (بجكم التركي) و(شمكير) وخصوم الخليفة وخصومه.

وأرجئ الأمـر إلى وقـت لاحق، حيث عقد الخليفة لهما مجلساً مخضراً، ودار كـلام كثير، أمر الخليفة في نهايته قطع يد ابن مقلة اليمنى، وأن يعود إلى السجن.

وقـد ذكر بعض المؤرخين أن الخليفة قد استفتى الفقهاء فأفتوا بقطع يده[2] ولعـل تـلك الفتوى بسبب كثرة ما يملكه من مال وضياع وما فعله في بستانه الكبير من تربية الطيور والحيوانات، وأن ذلك كسب غير مشروع يستحق عليه العقوبة.

لكن الخليفة الراضي ندم على ما فعل، فأمر الأطباء بملازمته ومداواته في السجن حتى يبرأ، ففعلوا[3].

يقـول ثابت بن سنان الطبيب: (كنت إذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عـن أحوال ولده أبي الحسين، فأعرفه استتاره وسلامته، فتطيب نفسه، ثم ينوح عـلى يـده ويبكي ويقول: خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين، وتقطع كما تقطع أيدي اللصوص؟

فأسلّيه وأقول له: هذا انتهاء المكروه، وخاتمة القطوع فينشدني ويقول:

إذا مـا مـات بعضك فابك بعضاً ... فـإن الـبعض مـن بعض[4] قريب

وكـان مـن صفات ابن مقلة أنه كان قاسياً عاطفياً عصبي المزاج، سريع

---

(1) يراجع كتاب الكامل في التاريخ (8/345-346).

(2) سير أعلام النبلاء (15/225) ونحوه في المنتظم (13/397)

(3) وفيات الأعيان (5/114-115 ت 698).

(4) وفيات الأعيان (5/115-116ت 698).

الانفعال، عصامياً، فرغم أن يده قد قطعت فإنه كان يطمع أن يعود وزيراً ليفعل الأفاعيل وينتقم من غيره، وكان لا يتوانى من نقد غيره نقداً جارحاً، والنيل منه نيلاً لاذعاً.

لقـد خـرج من السجن مقطوع اليد، لكنه استمر يخط بهذه اليد المقطوعة خطوطـاً جميـلة كالـتي كان يخطها وهو معافى، وكان يربط على يده عوداً (قصبة) ويكتب ما يريد بنجاح كبير[1].

وتسرّبت أقواله القاسية بحق ابن رائق وغيره، وأخذ يكتب للخليفة الراضي يستعطفه ويطلب منه أن يجعله وزيراً مرة رابعة، وكان مما كتبه له: (إن قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة)[2].

لكـن الخليفة لم يلتفت إلى طلبه، بل زاد ذلك من غيظ خصمه ابن رائق، حيـث أمـر (بجكـم التركي) أحد المقرّبين من ابن رائق بقطع لسان ابن مقلة، ورمـي بالحـبس مـدة طويلة، كان فيه مهملاً، لا يخدمه أحد، ولا يقدم إليه ما يـلزمه، (فكـان يستقي الماء لنفسه من البئر، فيجذب بيده اليسرى جذبة، وبفمه الأخرى)[3].

ولـم يرض الأدباء والشعراء للواقع الأليم الذي عانى منه ابن مقلة، نتيجة معارضته لوزير أو لأمير الأمراء في الدولة، فنظموا القصائد التي تستنكر تلك الفعلة التي أقدم عليها الخليفة من قطع يده ولسانه، فقد قال أحد الشعراء:

وقـالوا: العزل للوزراء حيض ... لحـاه الله مـن أمـر بغيـض

ولكـن الوزيـر أبـا عـلي ... مـن اللائـي يئسن من[4] المحيض.

كما ندد الصولي بالذين قطعوا يده للقضاء على مواهبه الفنية، أو ليخرسوا لسانه بالقمع والإرهاب والقطع فقال:

لـئن قطعوا يمنى يديه لخوفهم ... لأقلامـه لا للسـيوف الصـوارم

فمـا قطعـوا رأياً إذا ما أجاله ... رأيـت الـردى بين اللها[5] والغلاصم

---

(1) الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص112).
(2) وفيات الأعيان (116/5).
(3) وفيات الأعيان (116/5) والكامل في التاريخ (346/8).
(4) وفيات الأعيان (116/5-17).
(5) سير أعلام النبلاء (229/15) والفخري (ص272).

وفي الحقيقة أن أزلام الخليفة استطاعوا إسكاته وتنحيته عن الساحة السياسية، فهل استطاعوا إزاحته عن عرش المجد والخلود الذي اعتلاه بفنه وخطه وذوقه؟

نبوغه وآثاره

شهد المؤرخون والباحثون لابن مقلة في جودة الخط وحسنه، فقد كان في عصره شيخ خطاطي بغداد، فلم يدركه أحد ممن عاصره، ولم يسبقه إلى طواعية القصبة له لاحق حتى قرون تلته. وقد ترك لنا رسالة بعنوان: "رسالة في علم الخط والقلم"[1] ورجع إليها الأستاذ معروف زريق حين كتب كتابه (كيف نعلم الخط العربي) واعتبرها من مراجعه.

وقد أسهب الباحثون في ذكر جوانب إبداعه في الخط. فقد جاء في كتاب ثمار القلوب ما يلي: (كتب ابن مقلة كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم -أي زمن الثعالبي سنة 429 هـ- عند الروم في كنيسة قسطنطينية، ويبرزونه في الأعياد، ويعلقونه في أخصّ بيوت العبادات، ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه)[2].

ويذكر البحاثة عمر رضا كحالة أنه ترك ديوان شعر صغير يقع في ثلاثين ورقة[3] من ذلك الشعر ما ذكره أصحاب الموسوعات الكبيرة كابن خلكان والذهبي وابن الجوزي وغيرهم، وقد قاله ابن مقلة في حالته البائسة بعد قطع يده:

ما سئمتُ الحياةَ لكن توثّقـ	*ـتُ بأيمانهم فبانت يميني*
بعتُ ديني لهم بدنياي حتى	*حرموني دنياهم بعد ديني*
ولقد حُطتُ ما استطعتُ بجهدي	*حفظَ أرواحهم فما حفظوني*
ليس بعدَ اليمين لذةُ عيشٍ	*يا حياتي بانت يميني[4] فبيني*

---

(1) الأعلام (273/6) تعليق.
(2) المرجع السابق.
(3) معجم المؤلفين (320/100).
(4) المنتظم (396/13) وسير أعلام النبلاء (227/15) ووفيات الأعيان (116/5) والفخري في الآداب السلطانية (ص271-272).

أمـــا الأستاذ هلال ناجي فيقول عن آثاره: (ترك ابن مقلة مدرسة في الخط بعــده، وله في الخط رسالة مخطوطة موجودة، لكن آثاره الخطية ضاعت، ولم يبقَ منها سوى مصحف واحد محفوظ في متحف هراة بأفغانستان)[1].

ونقــل الذهبي خطأً وقع فيه ابن النجار حين اعتبره شاعراً أديباً وأنه (وفد على ملك الشام سيف الدولة، ونسخ له عدة مجلدات)[2].

فابن مقلة لم يدخل حلب ولا نزل بلاد الشام البتة.

صفاته وطباعه

فـــي الحقيقة أننا حينما نقف على سيرة ابن مقلة نجده عنيفاً في حبه، عنيفاً فـــي بغضـــه، يكيل لمن يبغضه الصاع، ويهيل لمن يرضى عنه بلا كيل. كان يتحدث عن نفسه مراراً فيقول: (إذا أحببتُ تهالكت، وإذا أبغضتُ، أهلكتُ، وإذا رضيتُ آثرتُ، وإذا غضبتُ أثّرتُ)[3].

لقد كان من حبه للخط أنه يمسح بالحبر ثوبه إن وجد في يده أو قلمه شيئاً مـــن ذلك، وهذا من حبه لمهنة الخط، فقد كان يأكل يوماً. فلما غسل يده، وجد نقطـــة صـــفراء من حلو على ثوبه [ففتح الدواة] وأخذ منها الحبر وطمس مكان الحلو بالقلم وقال: (ذاك عيب، وهذا أثر صناعة) يريد صناعة الخط، وأنشد:

إنمـــا الزعفران عطر العذارى   *ومـــداد الـــدواة عطـــر[4] الـــرجال*

وكـــان يقـــول: (يعجبـــني من يقول الشعر تأدّباً لا تكسّباً، ويتعاطى الغناء تطرّباً لا تطلّباً)[5].

وحيـــن نجده في هذه المقولة عفيفاً، نجده في موقف آخر عنيفاً، فقد تحدث الحســـن بـــن مقلة عن سبب قطع يد أخيه فقال: (كان سبب قطع يد أخي كلمةً. كـــان قد استقام أمره مع الراضي، وابن رائق، وأمرا بردّ ضياعه، ودافع ناس فكـــتب أخـــي يعـــتب عليهم بكلام غليظ، وكنا نشير عليه أن يستعمل ضد ذلك فيقول: والله لا ذللتُ لهذا الوضيع.

---

(1) تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب (ص63).
(2) سير أعلام النبلاء (229/15).
(3) وفيات الأعيان (117/5) وشذرات الذهب (311/2).
(4) المنتظم (395/13) وسير أعلام النبلاء (226/15).
(5) شذرات الذهب (311/2) ووفيات الأعيان (117/5).

وزاره صديق ابن رائق، ومدبّر دولته، فما قام له)[1].

وذكـــر الذهبـــي أن ابن النجار ساق فصلاً طويلاً يدلّ على تيهه وطيشه، وكـــان من ذلك الطيش أنه كان إذا ركب يأخذ له الطالع جماعة من المنجمين، ليأمن المركب والطريق.

وذكر ابن كثير أنه حين عزل في زمن الخليفة الراضي (صودر منه ألف ألف دينار)[2].

وهذا المبلغ وغيره لا نشك في أنه جمعه بطرق غير مشروعة، وله سوابق الـــرقاع الكثـــيرة فـــي مجلســـين، ولو كانت كلّها تخصك لقضيتها. فقبل جعفر يده)[3].

ولا شك أن ابن مقلة كان يقضي حوائج الناس، ويدير شؤون وزارته خير إدارة، ولعلـــه في ذلك كان يطمح إلى أعلى من الوزارة، فقد كان يتظاهر أمام من يعرفونه بالعظمة، وعلو المقام، وكان يرى في نفسه المقدرة على إدارة أكبر الأمور، وكان ينظم ذلك شعراً فيقول:

وإذا رأيـــت فـــتى بـــأعلى رتبة ... فـــي شـــامخ مـــن عـــزّة المـــترفّع

قالت لي النفس العزوف بقدرها ... مـــا كـــان أولانـــي بهذا[4] الموضع

ولعل تلك الآمال هي التي أوردته المهالك. ولو بقي ابن مقلة كاتباً خطاطاً لـــنال من المجد أكثر مما ناله في الوزارة، والذي نشاهده من خلال سيرته أنه طلب المجد بغير الخط فناله في الخط وسقط في السياسة.

قالوا فيه

لقـــد أثـــنى العلماء والمؤرخون على ابن مقلة كخطاط بارع، وفنان مبدع، لكـــنهم اعتبروه أرعناً في السياسة، وسيءَ التصرف بماله، وما قام به من بذخ وإســـراف اشمأزت منه نفوس عارفيه، وضمر له السوء أكثر الذين عرفوه في قصـــر الخلافـــة والـــوزارة. فقد كانت حياته صوراً مختلفة عجيبة، وفيها من المتناقضات والغرائب.

---

[1] سير أعلام النبلاء (228/15).

[2] البداية والنهاية (208/11) والكتاب العربي منذ نشأته (ص112).

[3] سير أعلام النبلاء (227/15).

[4] وفيات الأعيان (117/5)

في ذلك تدل على أنه جمع مالاً لا يكاد يحصى.

كما نجد ابن مقلة يتغير عما به من صفات حسنة قبل الوزارة عما آلت إليه الأمور بعدها فغيرته كثيراً. ونسي بعدها أعز أصدقائه الذين كان يأكل الخبز الخشن معهم فقد كان الشاعر جحظة صديقاً له، وبينهما صداقة متينة، ولما أراد جحظة أن يدخل على ابن مقلة بعد أن تقلّد الوزارة لم يؤذن له فقال:

قل للوزير أدام الله دولته اذكر منادمتي والخبز خشكار

إذ ليس بالباب برذون لنوبتكم ولا حمار ولا في الشط[1] طيّار

وكان يقضي وهو في الوزارة حوائج الناس، ويلبي لهم طلباتهم وحوائجهم، ولا يردّ أحداً، فقد كان جعفر بن ورقاء الشاعر يعرض على ابن مقلة الرقاع الكثيرة في طلبات الناس في مجالسه العامة وخلواته، فربما عرض له في اليوم أكثر من مائة رقعة (طلب حاجة وتظلّم).

وفي أحد المجالس عرض عليه كثيراً من مطالب الناس التي دونوها في الرقاع فضجر ابن مقلة وقال: (إلى كم يا أبا محمد؟).

قال جعفر: على بابك الأرملة والضعيف وابن السبيل، والفقير، ومن لا يصل إليك.. أيّد الله الوزير، إن كان فيها شيء لي فخرّقه، إنما أنت الدنيا، ونحن طرق إليك، فإذا سألونا سألناك، فإن صعُبَ هذا أمرتنا أن لا نعرض شيئاً، ونعرّف الناس بضعف جاهنا عندك ليعذرونا.

فقال أبو علي: لم أذهب حيث ذهبتَ، وإنما أومأت إلى أن تكون هذه

يقول الثعالبي: (من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات، اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاثة مرات، في ثلاثة مواضع، وكان له ثلاثة من الخدم)[2].

وقد خلّده الثعالبي في كلمات كخلود خطه: (خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله، في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر)[3].

---

(1) المنتظم (395/13).
(2) الأعلام (273/6) والكامل (346/8) والمنتظم (397/13).
(3) كيف نعلّم الخط العربي (ص31).

وقال عنه الذهبي: (الوزير الكبير)[1].

ووصـــفه الصولي وصفاً دقيقاً فقال: (ما رأيت وزيراً منذ توفي القاسم بن عـــبيد الله[2] أحسن حركة، ولا أظرف إشارة، ولا أملح خطاً، ولا أكثر حفظاً، وله علم بالإعراب، وحفظ للغة، وتوقيعات حسان)[3].

وتحـــدث عـــنه يـــاقوت الحموي فقال (وهو المعروف بجودة الخط الذي يضـــرب به المثل، كان أوحد الدنيا في كتبه قلم الرقاع، والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته[4] ذو فضل بارع)[5].

وقـــال أبو حيان التوحيدي: (أصلحُ الخطوط، وأجمعها لأكثر الشروط، ما عليه أصحابنا في العراق فقيل له: ما تقول في خط ابن مقلة؟

قـــال: ذاك نبي فيه، أفرغ الخط في يده، كما أُوحي إلى النحل في تسديس بيوته)[6].

وفاته

بعد حياة منعمة بعد فقر وحاجة، عاد ابن مقلة ليقضي آخر أيامه في سجن الخـــليفة الراضـــي مقطوع اليد واللسان، يعاني من شظف العيش وقساوة الحياة كـــثيراً؛ ومـــات يوم الأحد في العاشر من شهر شوال سنة (328هـــ – 940م) ودفن في السجن، ثم نبش بعد زمان وسلّم إلى أهله[7] فدفنه ابنه أبو الحسين في داره، ثم نبشته زوجته المعروفة بالدينارية، ودفنته في دارها)[8].

وذكر الذهبي أنه عاش ستين عاماً[9]

بينما قال ابن كثير: توفي وله من العمر ست وخمسون سنة[10].

---

[1] سير أعلام النبلاء (224/15).

[2] توفي القاسم سنة 291 وكان وزيراً للمعتضد.

[3] سير أعلام النبلاء (225/15).

[4] أي مفاخرته ومبارياته.

[5] معجم الأدباء (29/9).

[6] كيف نعلم الخط العربي (ص31).

[7] ذكر الذهبي أنه دفن في دار السلطنة، ثم عاد فذكر (230/15) أن تابوته نقل إلى بغداد.

[8] المنتظم (397/13) وشذرات الذهب (311/2) والفخري (ص272-273)

[9] العبر (29/2).

[10] البداية والنهاية (208/11).

ووقف على قبره ابن الرومي يبين مكانته في عالم الفكر والقلم، وأن الإبداع هو الخالد، وأن السلطان ومن دونه، والسيف وما فوقه لا يبارون القلم ولا يبلغون مداه.

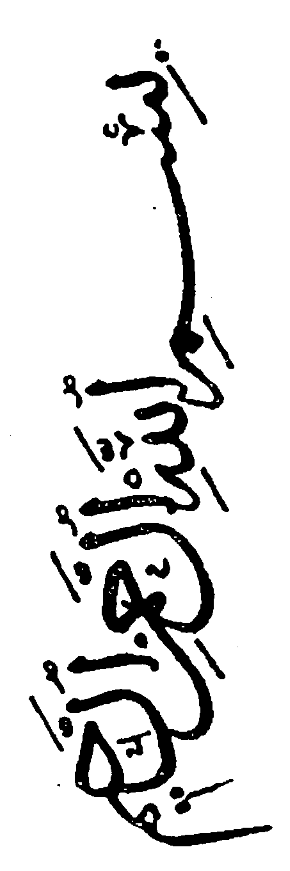
إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت، والموت لا شيء يعادله ... ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للأقلام مُذ بُريت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكل صاحب سيف دائماً أبداً ... ما زال يتبع ما يجري به[1] القلم

رحم الله ابن مقلة، فقد عاش بين أقرانه غريباً، ومات في غياهب السجن ذليلاً، ولكن ذكره بين المبدعين بقي خالداً.



(1) وفيات الأعيان (117/5)

ابن البواب

... – 423هـ / ... – 1032م

الخط فن جميل، اشتهر به العرب بعد الإسلام، وفاقوا به بقية الأمم، وسبب التفوق أنهم لم يلجؤوا للتصوير والنحت وعمل التماثيل لتحريم الشريعة الإسلامية ذلك. واشتهروا بالزخرفة والمقرنصات الصاعدة والنازلة، والزخارف الهندسية المختلفة، حتى أصبحت هذه الفنون تحمل اسم الفنون الشرقية، أو الإسلامية. وأصبح الخط العربي عبر مسيرة تطوره في القرون الأولى فناً إبداعياً امتاز به عدد كبير من الفنانين، تحدث عنه ابن خلدون في القرن الثامن الهجري فقال: (واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني فلابد لكل منها أن يكون واضح الدلالة... فالخط المجوّد كماله أن تكون دلالته واضحة، بإبانة حروفه المتواضعة، وإجادة وضعها ورسمها)[1].

وقد امتاز الخط العربي عن غيره من خطوط العالم بليونة حروفه وانسيابها ووصلها مع بعضها ووجود حركات فوقها وأسفل منها، مما جعله يمتاز عن غيره في الكتابة والجمال، فنزل القرآن الكريم به، وجوّده الخطاطون بهذه القواعد الثابتة.

وإذا كان الخط الكوفي –على سبيل المثال– يقوم على قاعدة استعمال المسطرة، فقد يجوز أن نكتب به بعض الخطوط غير العربية كالإنكليزية والصينية، لكننا نعجز تماماً أن نطبق قواعد الخطوط الأخرى كالثلث والنسخ والديواني وغيرها على غير الحرف العربي، ومن هنا برزت مواهب الخطاطين والفنانين في إبراز جماليات الخط العربي في خطوطهم الشهيرة.

---

(1) مقدمة ابن خلدون (ص 530-531) ودائرة المعارف الإسلامية (1/271-272) ووفيات الأعيان (3/342).

ابن البواب

خطاط مبدع كبير، وفنان مرهف الحس الفني، والشعور العلمي، عرفه معاصروه فأنزلوه منزلته، وقدّروه حق التقدير، إنه علي بن هلال، أبو الحسن المعروف بابن البواب.

قال عنه الزركلي: (خطاط مشهور، من أهل بغداد، هذّب طريقة ابن مقلة وكساها رونقاً وبهجة)[1].

ورث مهنة أبيه فترة من حياته، فقد (كان أبوه بوّاباً لبني بويه على بيت القضاء في بغداد)[2]. وأصبح بعد أبيه بواباً على دار فخر الملك محمد بن علي أبي غالب المتوفى سنة سبع وأربعمائة.

وأخذ عن كبار معاصريه فقد (كتب على محمد بن أسد، وأخذ العربية عن ابن جني، وكان شبيبته مزوّقاً دهّاناً في السقوف. ثم صار يُذهّب الختَم وغيرها، وبرع في ذلك، ثم عني بالكتابة ففاق فيها الأوائل والأواخر)[3]. حتى كان في الخط من الأوائل ومن كبار خطاطي عصره كما أخذ عن (أبي الحسين بن سمعون الواعظ)[4]. وكان يمتاز إلى جانب الخط بالتواضع ومصارحة الآخرين، لإظهار الحقيقة الكامنة.

قال هلال بن الصابئ: (دخل أبو الحسن البتي دار فخر الملك، فوجد ابن البواب هذا جالساً على عتبة الباب ينتظر خروج فخر الملك، فقال له: جلوس الأستاذ في العتَب، رعاية للنسب، فغضب ابن البواب وقال: لو كان لي الأمر ما مكّنت مثلك من الدخول؛ فقال البتي: حتى لا يترك الشيخ صنعته)[5]

أخلاقه ومزاياه

كان ابن البواب إلى جانب نبوغه في الخط صاحب دين وخلق، فقد أثنى عليه معاصروه من المؤرخين ومَن جاؤوا بعده. قال عنه ابن كثير: (قد أثنى

---

(1) الأعلام (31/5).
(2) النجوم الزاهرة (257/4).
(3) العبر (224/2).
(4) البداية والنهاية (16/12).
(5) النجوم الزاهرة (457/4-458).

على ابن البواب غير واحد، في دينه وأمانته)[1].

كمـــا كـــان نابغة في غير الخط، فهو يعبّر الرؤيا، وينظم الشعر، ويكتب النـــثر، ويعظ الناس ويرشدهم، وقد أثنى عليه ياقوت الحموي فقال: (كان يعظ بجـــامع المنصور، فلما ورد فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزير والياً عـــلى العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة، جعله من ندمائه، وفي الجملة إنه لم يكن في عصره ذاك النفاق الذي له بعد وفاته)[2]..

وهـــذا يعـــني أنه كان ورعاً، تقياً، بعيداً عن النفاق والتدليس لأولي الأمر والسلطان.

وكـــان تواضـــعه عـــن حـــب وإخاء، تدفعه إلى ذلك عقيدة سليمة. حسن المعشـــر، ليّـــن الجانب، يهش ويبش لمن يحادثه، شاهده أحد كتّاب الديوان في بعض الممرّات فسلّم عليه وقبّل يده، فقال له ابن البوّاب: الله... الله يا سيدي ما أنا وهذا؟

فقال له: لو قبّلتُ الأرض بين يديك لكان قليلاً.

قال: لِمَ؟ ولِمَ ذاك يا سيدي؟ وما الذي أوجبه واقتضاه؟.

قـــال الكاتب: لأنك تفرّدت بأشياء ما في بغداد كلها من يشاركك فيها، منها الخط الحسن، وأنه لم أرَ في عُمُري كاتباً من طرف عمامته إلى لحيته ذراعان ونصفٌ غيرك.

فضحك ابن البوّاب منه وجزاه خيراً، وقال له: أسألك أن تكتم هذه الفضيلة عليّ ولا تكرمني لأجلها.

قال الكاتب: ولِمَ تكتم فضائلك ومناقبك؟

فقال ابن البواب: أنا أسألك هذا.

وكانت لحية ابن البواب طويلة جداً)[3].

حقـــاً لقـــد كان ابن البواب رحمه الله ورعاً تقياً، وصفه الخطيب البغدادي فقال: (كان رجلاً ديّناً)[4].

---

(1) البداية والنهاية (16/12).

(2) معجم الأدباء (121/15)، والكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص113).

(3) معجم الأدباء (133/15).

(4) العبر (225/2).

نبوغه في الخط

كان ابن البواب صاعقة عصره في الخط، جودة وتحسيناً. وهو الذي ورث إبــداع ابــن مقلة وحسّنه، فكانت لوحاته الخطية آية في الجمال. شاهد أبو عبيد البكري الأندلسي صاحب التصانيف خطّ ابن مقلة فأنشد:

خط ابن مقلة مَن أرعاه مقلته ودّت جوارحــه لــو أصبحت مُقَلا

فكيــف لــو شاهد البكري خطوط ابن البواب التي نالت إعجاب معاصريه واللاحقين؟! وفاقت خطوط ابن مقلة؟!!

وقد ذاع صيته، واتسعت شهرته.

قــال عــنه ابن كثير: (وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها، وخطــه أوضح تعريباً من خط أبي علي ابن مقلة، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلاّ القليل)[1].

ولكــثرة الكُتّاب والخطاطين في عصره فقد جهل الأعيان مكانة هذا الفنان خــلال حياته، فلما مات برز اسمه، ولمع نجمه، واعتدّ به الفنانون والمبدعون، واعتــبروه علماً من أعلام الخط، وخليفة لابن مقلة، حتى قال عنه الذهبي: (ولم يعــرف الناس قدر خطه إلاّ بعد موته، لأنه كتب ورقة إلى كبير، يشفع فيها في مســاعدة إنســان بشيء لا يساوي دينارين، وقد بسط القول فيها، فلما كان بعد موته بمدة، بيعت تلك الورقة بسبعة عشر ديناراً)[2].

ويــبدو أن هــذه الــلوحة الفنية أصبحت أثراً ثميناً، فقد بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً[3].

ولقد شهد أبو العلاء المعري بفضيلة خط ابن البواب، حين ذهب إلى بغداد ونزل الكرخ، فلما طال مقامه حنّ إلى المعرة وأهلها فقال:

ولاح هِــلالٌ مــثلُ نونٍ أجادَها بِجَــاري النُّضــار[4] الكاتبُ ابنُ[5] هلال

---

[1] البداية والنهاية (16/12).
[2] العبر (225/2) والكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص114).
[3] معجم الأدباء (122/15).
[4] النضار: الذهب، والمراد: بماء الذهب.
[5] شروح سقط الزند (1197/3).

وحين يرسم الفنان لوحة، أو الكاتب كتاباً ولا يتمه؛ فإن اللاحقين يعجزون عـن إتمام تلك اللوحة أو الكتاب كما أراد البادئ، فقد ذكروا أن ابن مقلة كتب مصـحفاً في ثلاثين جزءاً، وفقد جزء منه فأتمه ابن البواب بخطه الجميل الذي لا يكاد يختلف عن خط ابن مقلة، وفوق ذلك فقد جلّده تجليداً لا يكاد يختلف عن تجليد الأجزاء التي خطها ابن مقلة، وهذا من حسن خطه وأناته وصبره، وحسن اختياره لنوع الورق والخط والتجليد[1].

ويـبدو أن أخـاً له عمل في الخط أيضاً وذاع صيته، وشُهر بأبي علي بن الـبواب فظن الكثيرون أنه هو المقصود بنبوغ الخط فأشار إلى ذلك بقوله: (إن صاحب الخط المنسوب المشهور ليس أبا علي المذكور، وإنما هو أخوه عبد الله الحسن...)[2].

وقـد كـان إبداع ابن البواب في الخط وجماله حديث الناس في مجالسهم، بهـر العقـول، وشـنفت إليه الآذان، وحملقت فيه المقل، فقد مدح أحد الشعراء كتاباً، فأعجب بهذا الشعر أحد فقهاء حلب، (وحينما مرّ ابن خلّكان بحلب سألوه عنه:

كتاب كَوَشْي الروْض خَطَّت سطوره   يـدُ ابـن هـلال عن فم ابن هلال

قـال ابـن خلكان: فقلت له: هذا يقول: إن خطّه في الحسن مثل خط ابن البواب وفي بلاغة ألفاظه مثل رسائل الصابئ؛ لأنه ابن هلال أيضاً)[3].

آثاره

اشـتهر ابن البواب بنسخ المصاحف، والعناية بإخراجها، والتأنق بجمالها، وصـفه البطليوسـي شـارح سـقط الـزند بالوراقة فقال: (كان ورّاقاً يكتب المصاحف)[4].

ولعلـه اتخذ الوراقة مهنة، وقد (نسخ القرآن الكريم بيده أربعاً وستين مرة، إحداها بالخط الريحاني لا تزال محفوظة في مكتبة "لاله لي" بالقسطنطينية)[5].

---

[1] معجم الأدباء (122/15) والكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص113).
[2] وفيات الأعيان (342/3).
[3] وفيات الأعيان (343/3).
[4] الأعلام (31/5) ودائرة المعارف الإسلامية (226/1).
[5] الأعلام (31/5) ودائرة المعارف الإسلامية (226/1).

ويوجـــد (بمكتبة آيا صوفيا ديوان الشاعر العربي الجاهلي سلامة بن جندل بخط ابن البواب)[1].

وتـــرك لنا ابن البواب إلى جانب خطوطه الرائعة والمصاحف الكثيرة التي خطّهـــا مجموعة كبيرة من الشعر الذي لم يبلغ به حدّ الشعراء المجيدين[2]. ففي شعره عيوب كثيرة سترها جمال خطه كما قال ياقوت الحموي.

وتذكـــر دائـــرة المعـــارف الإســـلامية لابن البواب أنه كان (مبتدع الخط ((الـــريحاني)) والخـــط ((المحقق)) كما أسس مدرسة للخطوط بقيت إلى زمن ياقوت المستعصمي)[3].

ومـــا تأسيس هذه المدرسة إلاّ لأنه أكبر خطاطي عصره، وهو الذي هذّب خطوط سابقيه إلى الصورة والشكل الذي ظهر بهما خطه.

وإلى جـــانب الخـــط فقـــد بـــرع في الشعر، الذي شرح فيه طريقة الخط، وسمات الخطاطين، وصناعة الحبر... وغيرها. وذكر ابن خلدون قصيدة له في أصـــول الخـــط وجماله وكماله ذكرها في مقدمته لينتفع بها من يريد تعلّم هذه الصناعة. من هذه الأبيات:

يـــا مـــن يـــريد إجـــادة التحرير ويـــروم حســـن الخـــط والتصـــوير

أعـــدِد مـــن الأقـــلام كـــلَّ مثقّف صَـــلْب يصـــوغ صـــناعة التحـــبير

وإذا عَمَـــدتَ لـــبريه فـــتوخَّه عـــند القيـــاس بأوســـط الـــتقدير

وألـــقِ دواتـــك بالدخـــان مُدَبَّـــراً بـــالخَلِّ أو بالحِصـــرم المعصـــور

وأضـــف إليـــه مَغـــرةً قدْ صُوِّلت مـــع أصْـــفر الـــزّرنيخ والكـــافور

حـــتى إذا مـــا خُمِّرت فاعمد إلى الـــورق الـــنَّقي الـــناعم المخـــبور

ثـــم اجعـــل التمـــثيلَ دأبَك صابراً مـــا أدرك المـــأمولَ مـــثل صـــبُور

لا تخجَـــلَنَّ مـــن الـــرَّدي تَخطُّـــهُ فـــي أوّل التمـــثيل والتشـــطير

فالأمـــر يصـــعب ثـــم يرجع هيِّناً ولـــرُبَّ ســـهلٍ جـــاء بعـــد[4] عسير

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية (226/1).

[2] ذكر شعره ياقوت الحموي في معجم الأدباء (126/15-128).

[3] دائرة المعارف الإسلامية (226/1).

[4] مقدمة ابن خلدون (ص529-530).

أقوال العلماء فيه

أشـــاد العـــلماء والأدبـــاء والخطاطون بابن البوّاب وخطوطه كثيراً وبيّنوا مكانته بين معاصريه، وأثنوا عليه بما هو أهله:

قـــال الخوارزمـــي: (كـــان في صنعة الخط آية، وسمعت بعض الحكماء السيّاحة يقول: إنه أحد منوّعي الخط، وأصول هذه الخطوط المتداولة بين الناس من طرائقه)[1].

قال ابن خلدون:(الكاتب الشهير)[2] (188)

وقال ابن خلكان: (لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله، ولا قاربـــه، وإن كان أبو علي ابن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين، وأبـــرزها فـــي هـــذه الصورة، وله بذلك فضيلة السبق، وخطه أيضاً في نهاية الحسن، لكن ابن البواب هذّب طريقته ونقّحها وكساها طلاوة وبهجة)[3].

وقـــال ياقوت الحموي: (صاحب الخط المليح، والإذهاب الفائق... كان في أول أمـــره مُـــزَوِّقاً يُصوِّرُ الدُّوْر، ثم صوّر الكتب، ثم تعاطى الكتابة ففاق فيها المتقدمين، وأعجز المتأخرين)[4].

وقـــال بطـــرس البستاني: (لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه، وأقرّ له الجميع بالسابقة وعدم المشاركة في حسن الخط)[5].

كما أشاد به سائر العلماء الذين جاؤوا بعده، ودوّنوا ذلك في مؤلفاتهم.

وفاته

أفل نجم هذا الفنان المبدع يوم السبت ثاني جمادى الآخرة سنة (423هـــ-1032م) ودفـــن بمقبرة باب حرب في جوار الإمام أحمد بن حنبل. ووقف على قبره الشريف المرتضى يقرأ قصيدة يقول في مطلعها:

مـــن مثلها كنتَ تخشى أيها الحَذِرُ ... والدهـــر إن هـــمّ لا يُـــبقي ولا يذر

رُدِّيتَ يا ابن هلال والردى عَرَضٌ ... لـــم يُخْـــمَ منه على سُخْط له البشر

---

[1] شروح سقط الزند (1198/3).

[2] مقدمة ابن خلدون (ص528)

[3] وفيات الأعيان (342/3) و (117/5).

[4] معجم الأدباء (15/120-121).

[5] دائرة المعارف لبطرس البستاني (411/1).

مـا ضـرَّ فقـدك؟ والأيام شاهدة … بـأن فضـلك فيـه الأنجُـمُ الزُّهُـر

أغـنيت في الأرض والأقوام كلهم … مـن المحاسـن مـالم يُغْـنه المطرُ

فللقـلوب الـتي أبهجـتها حَـزنٌ … ولـلعيون الـتي أقْـررتَها سَـهَرُ

ومـا لعيـش إذا ودَّعـتَهُ أرَجٌ … ولا لـليل إذا فارقْـته سَـحَرٌ

ومـا لـنا بعد أن أضحت مطالعنا … مسـلوبة مـنك أوضاحٌ ولا[1] غُرَرُ

ورثاه كثيرون شعراً منهم من قال:

استشـعر الكُـتَاب فقْـدَكَ سـالفاً … وقَضَـتْ بصِـحَّة ذلـك الأيـام

فـلذاك سُـوِّدت الـدُّويُّ كآبـة … أسـفاً عـليك وشُـقَّت[2] الأقـلام

وقال آخر:

هـذا وأنـت ابن بوَّاب وذو عَدَم … فكيـف لـو كنتَ ربَّ الدار[3] والمال

رحمة الله وأجزل ثوابه، وتغمده برحمته.

ജജ

---

[1] الأعلام (31/5) والعبر (225/2) والبداية والنهاية (16/12) ومعجم الأدباء (134/15) وروي أنه توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة.

[2] البداية والنهاية (16/12).

[3] النجوم الزاهرة (258/4).



قرآن كريم بخط علي بن هلال المشهور بابن البواب.

عن كتابخانة عمومي حضرت آية الله مرعشي نجفي (ص63).

ياقوت المستعصمي

... – 698هـ/ ... – 1299م

خطاط كبير، وعلم من مشاهير الخطاطين العظام، كان نسياً منسياً، فرفعه جمال خطه إلى القمة، وجعله مهمازاً للفن والذوق والجمال.

هو أبو الدر جمال الدين ياقوت المستعصمي الرومي الكاتب.

كـان ممـلوكاً فاشـتراه الخـليفة العباسـي المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسـيين[1]. فنشأ ياقوت في دار الخلافة، وترعرع في بحبوبة العيش الرغيد، وقد درّبه الخليفة على الخط، وفن الكتابة.

وراح الخليفة يوعز للشيخ صفي الدين عبد المؤمن الكاتب الذي كان واحداً مـن فقهاء المدرسة المستنصرية أن يعلّمه فنون الخط، وحُسن بيانه، فبرع فيه يـاقوت على صغر سنه، وأظهر مهارة عاليةً في جماله. ونشأ على حب الخط فـراح يقرأ سيَر الخطاطين الذين سبقوه، وطُرُق كتابتهم، حتى فاق ابن البوّاب فـي براعـته، وجودة خطّه، فلقبوه بـ (قبلة الكتّاب) وانهمك الناس في اقتناء مخطوطاتـه لمـا لها من جودة، وما لصاحبها من شهرة وبُعد صيت في جمال الخط، حتى استطاع بحسن خطه وإتقانه أن يكتب (ألف مصحف ومصحفاً)[2].

تلاميذه

بـرع يـاقوت في الخط فتسابق عشاقه ومحبّوه للأخذ عنه، والتلمذة على يديـه، محـاولين بذلـك تقليده أو مجاراته في هذا التفوّق والإبداع، فهم إن لم يطمعوا في سبقه، فإنهم يأملون السير على منواله.

---

(1) *الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص114).*

(2) *الخط العربي للدكتور كنسي (ص48).*

وكان أشهر تلاميذه:

مظفر الدين علي بن علاء الدين ابن الجويني صاحب الديوان.

وشرف الدين هارون زوج حفيدة الخليفة المستعصم.

ونجم الدين البغدادي العالم النحوي العروضي، القارئ الشهير.

وأبو المعالي محمد نجل ابن الفوطي المؤرخ.

وعلم الدين سنجر بن عبد الله الرومي[1].

وقد استطاع هؤلاء التلاميذ أن يتقنوا فن الخط، ويبرعوا في الكتابة، وأن يعملوا في دواوين الإنشاء، وكانوا يعتزون بأستاذهم ياقوت، ويعتبرونه القدوة في هذا المضمار.

خازن المستنصرية

كان ابن البوّاب البغدادي مشرفاً على دار الكتب في شيراز، ومن يشرف على الكتب، فسيكون واحداً من رجالها، وهذا ما كان ياقوت يطمح إليه، فقد أصبح خازناً بدار الكتب في المدرسة المستنصرية التي كان يشرف عليها المؤرخ ابن الفوطي.

وقد استفاد ياقوت من عمله في هذه المدرسة فقد التقى الكثير من العلماء والمؤرخين والأدباء والمفسرين والمهتمين بسائر العلوم والفنون. وهذا ما جعله يرفع رأسه عالياً، ويعتز بذلك الرعيل الذي يشار إليه بالبنان، فعلت مكانته في الكتابة والخط، وعرفوا قدره فأجلّوه وقدّروه.

وبلغ في الشهرة في جمال الخط وحسنه أن يقول الناس حين يرون خطاً جميلاً: خط ياقوتي[2].

وقد أثنى المؤرخون على حسن خطه، وجعلوه قدوة لمن جاؤوا بعده، فقد قال ابن كثير: كان فاضلاً، مليح الخط مشهوراً بذلك، كتب ختماً حساناً، وكتب الناس عليه ببغداد، وتوفي بها في هذه السنة (698هـ)[3].

وحين سقطت بغداد بأيدي المغول بقيادة هولاكو، عُزل ياقوت عن المكتبة

---

(1) تراجم خطاطي بغداد (ص124).

(2) الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة (ص114).

(3) البداية والنهاية لابن كثير (7/14).

المستنصرية، وفوّض أمرها إلى موفق الدين بن أبي الحديد وأخيه عز الدين[1].

لكننا نعلم أن المغول كان أول عمل اقترفوه عند دخولهم بغداد أن ألقوا كتب التراث الإسلامي في نهر دجلة، وأن هذا النهر حزن على إغراق الكتب فيه أن أجرى ماءه سبعة أيام أسود قاتماً من أحبار ذلك الكم الهائل من الكتب.

مؤلفاته

لم يكن ياقوت خطاطاً فحسب، ولكنه كان أديباً، وشاعراً، وحكيماً. لقد برع في نظم الشعر فكان شاعراً، وأورد الأدباء وأصحاب الموسوعات الأدبية قصائد كثيرة له، منها هذه القصيدة في الوعظ والاعتبار:

أتعتقدون أن الملك يبقى   *وأن العيش في الدنيا يدوم*

ولا يجري الزوال لكم ببال   *كأن الموت ليس له هجوم*

فهبكم نلتم ما نال كسرى   *وقيصر والتابعة القروم*

ومتّعتم بذلك عمر نوح   *وحفّتكم بأسعدها النجوم*

أليس مصير ذاك إلى زوال   *لعمر أبي لقد هفت الحلوم*

وقد كتب ياقوت عدداً من الكتب، برع في فن الخط، ونبغ في علوم المدرسة المستنصرية، حفظ لنا الذين كتبوا عنه قديماً هذه الكتب:

1-(أخبار وأشعار) مطبوع.

2-(أسرار الحكماء) مطبوع.

3-(فقر التقطت وجمعت عن أفلاطون) مخطوط[2].

4-(حُفظت قطع من كتابته في القاهرة، واسطنبول، وباريس، وبينها نسختان كاملتان للقرآن الكريم)[3].

وفاته

توفي ياقوت ببغداد سنة (698هـ-1299م)[4]. وقد وقع خطأ مطبعي في

---

(1) تراجم خطاطي بغداد (ص127).

(2) الأعلام للزركلي (131/8).

(3) الكتاب العربي منذ نشأته (ص115).

(4) الأعلام (131/8).

الأعلام في تاريخ وفاته وهو (689هـ) والصواب ما ذكرناه.
تاركاً وراءه ذكراً حسناً في حسن الخط، والإبداع فيه.



قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات
وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين
يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات
إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار
شكور وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم

صفحة من قرآن بخط ياقوت للمستعصمي بالخط الريحاني والكوني- متحف طهران

صفحة من قرآن بخط ياقوت - متحف طهران

الحافظ عثمان

1052-1110هـ / 1642-1698م

الخطـــاط الكبير، وصاحب القلم الذهبي، عثمان بن علي المعروف بحافظ القرآن، كان (من أشهر الخطاطين الأتراك وأغزرهم إنتاجاً)[1].

ولـــد فـــي القســـطنطينية سنة /1052هـــ/ ونشأ فيها، حيث كانت عاصمة الخلافة العثمانية، ومأوى العلماء والنبغاء.

كان والده مؤذناً في أحد جوامع القسطنطينية، فمال ولده إلى الفقه والأدب، وأخـــذ يجالس العلماء والفقهاء في جوامع القسطنطينية. وأحب الخط الذي كتب بـــه القـــرآن الكـــريم بأشكال شتى، وراح يقلّد العلماء في كتابة الخط، ويجوّده لنفســـه، ثم أخذ يتردد على الشيخ الخطاط علي الكاتب الرومي الشهير المتوفى سنة /1084هـــ/.

ولـــم يكـــتف فـــي الأخذ عن خطاط واحد، بل أخذ عن (الكاتبين البارعين الشـــهيرين صـــويولجي زادة مصـــطفي، واسماعيل نفس زاده. فواصل عليهما الدراســـة الفنية حتى تخرّج بهما خطاطاً بارعاً لا يشق له غبار، ولا يقوم أمامه أحد من الخطاطين المعاصرين له)[2].

شهرته

نـــبغ عـــثمان في الخط حتى فاق معاصريه، ونال حظوة عند ذوي المال والجـــاه، فسعد بحظه، واقتنى الناس آثاره وخطوطه بأغلى الأثمان، ولما بلغت ســـمعته الســـلطان مصطفى خان اتخذه معلماً له في سنة (1106هــ-1694م) حيث أخذ عنه السلطان فنون الخط، وأحبه كثيراً، ثم منحه قضاء ديار بكر.

---

(1) الخط العربي لبهنسي (ص49).

(2) تراجم خطاطي بغداد (ص130).

وكـــان مـــن تقدير الخطاطين له أنهم كانوا يقومون احتراماً لورود اسمه، وكانوا يعتبرونه عميد الخط العربي.

لقـــد كـــتب الحـــافظ عثمان خمسة وعشرين مصحفاً بيده، كانت في غاية الإتقـــان والضـــبط والجودة. وقد طبع مصحفه في سائر البلاد الإسلامية مئات المـــرات، وخاصة في دمشق حيث تبنت طباعته أعرق دارين لنشر المصاحف هما دار الملاح، والمطبعة الهاشمية.

لقـــد نبغ الحافظ عثمان (فكان أفضل من كتب بالثلث، حظي بمكانة عالية، وكـــان متواضعاً)[1]. حتى صار اسمه (الحافظ عثمان) ملازماً لمن يريد اقتناء مصحف يمتاز بالجودة وحسن الخط.

وهـــذا ما جعل السلطان أحمد خان الثاني عام 1693م يتخذه معلماً له فن الخط[2].

وبعد مرور أكثر من ثلاثمائة سنة على وفاته ما يزال اسمه بارزاً في عداد الـــنوابغ مـــن الخطـــاطين، فالأتراك يجلّونه حق الإجلال، والخطاطون العرب يعتبرونه رائدهم خلال تلك الحقبة في خط الثلث:

مرضه ووفاته

فـــي سنة (1107هـــ) أصيب الحافظ عثمان بمرض الفالج (الشلل) فعزل عـــن وظيفـــته، وبقـــي مريضـــاً ثلاث سنوات، حيث كان يعاني من مغبّة ذلك المرض، وتوفي في القسطنطينية في سنة (1110هـــ)[3].

كـــان الحـــافظ عثمان قد أوصى بما أوصى به ابن الجوزي رحمه الله من جمع براية أقلامه ثم تسخين ماء غسله بها.

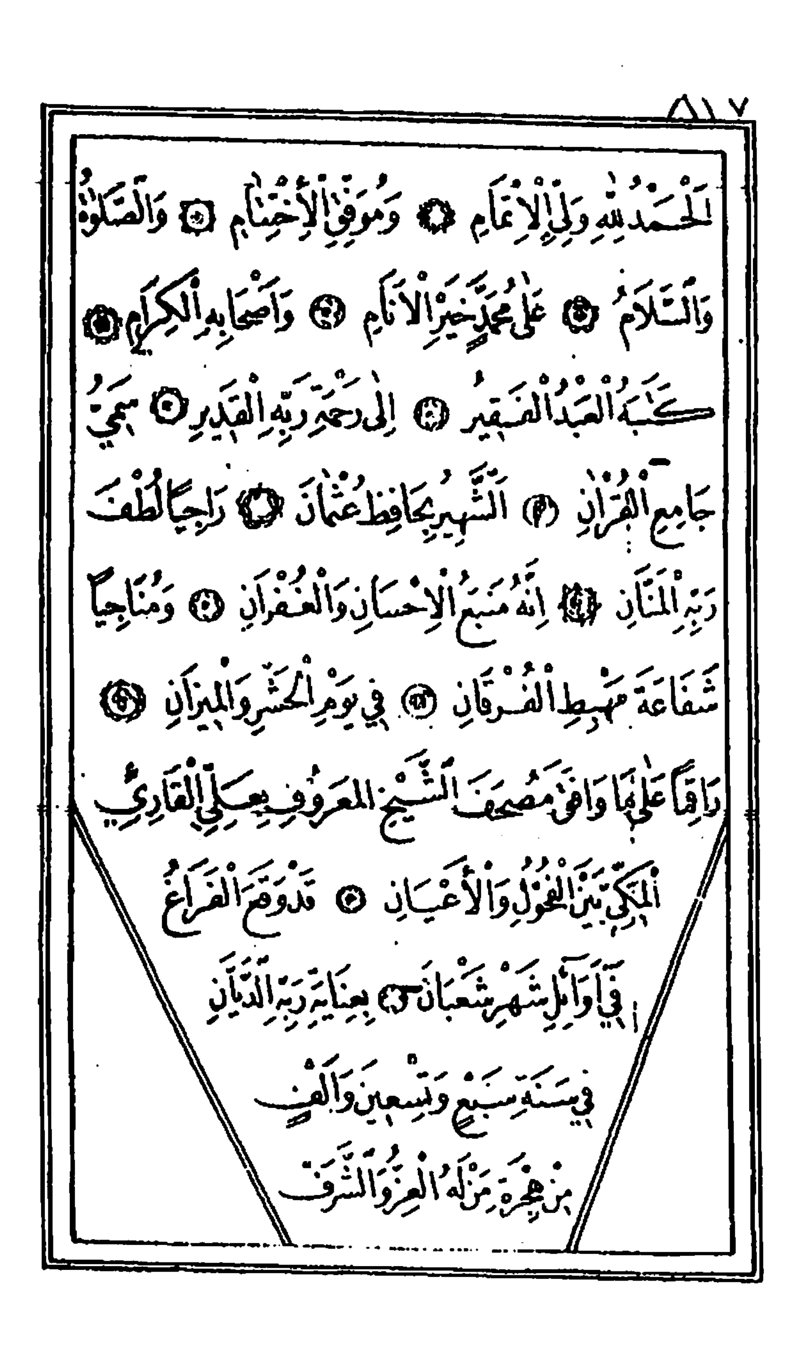
ودفـــن في رباط قوجه مصطفى باشا، وكتبوا على قبره لوحة ذكروا فيها أنه كان رئيساً للخطاطين. رحمه الله.

---

[1] الخط العربي لبهنسي (ص49).

[2] المرجع السابق.

[3] تراجم خطاطي بغداد (ص132).



٨١٧

الحمد لله ولي الإنعام ۝ وموفق الأختتام ۝ والصلوة
والسلام ۝ على محمد خير الأنام ۝ وأصحابه الكرام ۝
كتبه العبد الفقير ۝ إلى رحمة ربه القدير ۝ سمي
جامع القرآن ۝ الشهير بحافظ عثمان ۝ راجيا لطف
ربه المنان ۝ إنه منبع الإحسان والغفران ۝ ومناجيا
شفاعة مهبط الفرقان ۝ في يوم الحشر والميزان ۝
راقما على ما وافق مصحف الشيخ المعروف بعلي القاري
المكي بين الفحول والأعيان ۝ قد وقع الفراغ
في أوائل شهر شعبان ۝ بعناية ربه الديان
في سنة سبع وتسعين وألف
من هجرة من له العز والشرف

الحافظ عثمان

هاشم البغدادي

1335-1393هـ / 1917-1973م

إذا كـــان الأدباء قالوا منذ القديم إن العراق هي موئل الخط ومنبعه الأول، فقـــد قـــالوا أيضـــاً إن الخـــط ولد في العراق ونشأ فيه وترعرع. وبهذا تكون الصدارة للعراق في الخط والنبوغ فيه دون سائر البلاد العربية.

وإذا كان ابن مقلة علم الخط الأول في بغداد في العصر العباسي، فإن علم الخط الأخير في بغداد في العصر الحديث هو هاشم محمد البغدادي.

مولده وعائلته

لـــم يكـــن هاشم من عائلة عريقة بالخط والفن والعلم، ولكنه ينتسب لعائلة فقيـــرة، تمـــتاز بالشـــرف وأصالة النسب، وقد كان أبوه رجلاً بسيطاً يعمل في مـــنطقة عـــلوة المخضرات ببغداد. وكان يسكن في محلة خان لاوند وفي هذه المحـــلة الشـــعبية ولـــد هاشـــم بن محمد بن درباس، أبو راقم القيسي البغدادي الخطاط سنة (1335هـــ-1917م)[1].

ظهـــر النـــبوغ عليه منذ طفولته، وكان يتوسم فيه ذلك من يراه ويرافقه، فكـــأن الله قد اختاره ليكون خاتمة الخطاطين في بغداد والعراق والعالم منذ تلك النشـــأة الـــتي نشـــأها. والجـــو الـــثقافي الذي عاشه. وأعلام الخطاطين الذين عاصرهم.

بداياته في الخط

من علامات النبغاء والعلماء أنهم يأخذون عن أكثر من شيخ ومعلم ومرشد لهم فقد أخذ في طفولته الأولى عن الخطاط ملا عارف الشيخلي، وتأثر به، في

---

(1) - الأعلام (67/8).

حـــركاته وســمته، وخطـــه، حتى أنه كان يكثر الخط في بيت والده تقليداً لخط أســتاذه الأول، مما دعاه لعمل منضدة صغيرة تشبه منضدة شيخه يجلس عليها ويخـــط تقــليداً لأســتاذه. ومن هذا المعلم رسخ الخط في فكر هاشم مما دعاه للانتقال إلى الخطاط الحاج علي صابر، وأخذ عنه مدة يسيرة لا تزيد عن المدة التي قضاها في الأخذ عن شيخه الأول.

وكانت بداية نبوغه عند هذا الخطاط الحاذق، مما جعله يكتب لوحة يصب فيهــا براعــته وشغفه المبكر بالخط، ثم راح يقدمها لشيخه الحاج علي فما أن شاهدها الخطاط الكبير حتى نظر إلى تلميذه الخطاط الصغير مستكثراً أن تكون من خطه، ورأى أنها لكبار الخطاطين الأتراك أو المصريين، مما دعاه لمعاتبته عـــلى هذا النقل عن غيره، ولكن هاشماً حاول إقناعه أن اللوحة له، وأنه مستعد لكـــتابة نفـــس الـــلوحة بخطوط أخرى، لكن شيخه لم يصدقه، وأظهر له بعض الســـخرية، لحدة مزاج فيه وعصبية في التصرف عند الغضب، وأفهمه أن مثل هذه اللوحة يستحيل أن تكون من خط طالب في سن هاشم.

وربمـــا حصـــل الجفـــاء بينهما بسبب ذلك مما دعا هاشماً للصد عن هذا الخطاط الذي حاول أن يفقده الثقة بنفسه..

راح هاشم يتردد حلقات العلامة ملا علي الفضلي في جامع الفضل، وكان هذا الشيخ يدرّس علوم القرآن واللغة وعلوم العربية والخط العربي وبقي هاشم يـــرافقه ويـــأخذ عنه، ويعرض عليه خطوطه لشدة تعلق هاشم به، وإتقانه الخط على يديه.

أصـــبح هاشـــم بعد أن نال أول إجازة في الخط العربي من شيخه الفضلي خطاطـــاً مشـــهوراً فـــي بغداد، لقد كبر وأصبح بحاجة إلى عمل يكفي حاجاته اليومية، وخاصة أن والده لم يورث له مالاً يغنيه عن العمل فهو فقير الحال، لذا راح يـــبحث عن عمل من خلال مهنة الخط التي أتقنها، لكن هذه المهنة لم توفر لـــه العمل المناسب، فراح يعمل عاملاً في وزارة الدفاع ليسدّ حاجته الماسة من خلال مرتبها.

سفره إلى القاهرة

أصـــبح هاشـــم فتى في مقتبل العمر، وريعان الشباب، وقد ذاع صيته في بغـــداد، وأصبح علماً من أعلام الخطاطين الذين قد يبسم له الحظ فيكون عميدا لخطاطيها.

وأخـذت نفســه تحدثــه للارتحال إلى القاهرة والدراسة في معهد تحسين الخطـوط فيهـا حيث تخرج منه ودرّس فيه كبار الخطاطين المصريين. وشد رحالــه يحمــل مجموعــة مــن خطوطــه وإجازة شيخه الفضلي الذي عرف الخطاطون المصريون مكانته في الخط العربي في العراق، فنالت هذه الخطوط والإجــازة إعجاب الهيئة التعليمية في المعهد، وقرروا قبوله في السنة الأخيرة، بحيث لو جاز الامتحان النهائي لكان من الخريجين في نفس العام.

وبعـد الامــتحان استطاع هاشم أن يثبت حضوره بجدارة، فقد نال الدرجة الأولى فــي الامتحان، مما جعل الخطاطين سيد إبراهيم ومحمد حسني يعجبان بخطوطــه ويمــنحانه إجازة في الخط سنة 1364هـ- 1944م. ونتيجة لتفوقه على أقرانه في المعهد طلب منه أن يدرس مادة الخط في المعهد المذكور، لكنه رفض الإقامة في مصر وقرر العودة إلى بغداد.

سفره إلى تركيا

رأى هاشــم أن الخط العربي قد أصبح فناً رائعاً لدى الخطاطين الأتراك، وقد برزوا فيه وفاقوا غيرهم، فكان لزاماً عليه أن يرحل إليهم، ويلتقي كبارهم، فســافر إلى تــركيا، والــتقى الخطــاط الكــبير حامد الآمدي الذي يعتبر آخر الخطاطين العظام في العالم.

وفــي اســتانبول عرض هاشم لوحاته على الأستاذ حامد، وكتب أمامه في مكتــبه، فأعجب بها، وأجازه على خطه إجازة تطفح بالثناء والشكر والاعتراف بجــودة خطه وإتقانه، كانت الإجازة الأولى سنة 1370هــ والثانية سنة 1372 هــــ راح هاشــم يعلقهما في مكتبه ببغداد اعترافاً بحامد وأولويته بالخط على مستوى العالم.

لقــد قــام هاشــم بــزيارة المســاجد والتكايا والقصور والقلاع والمقابر والأضــرحة وجميع الأماكن التي تحوي خطوطاً عربية، فقام إما بتصويرها أو كتابة نبذات عنها، أو محاكاتها من خلال خطوط تماثلها. وتأثر بهم سلوكاً وفناً، ففي خط الثلث تأثر بالخطاطين راقم وحامد الآمدي. ولشدة حبه لراقم فقد سمى ولده البكر راقماً.

أمــا فــي خــط النسخ فقد تأثر بالمرحوم الحافظ عثمان الذي خط القرآن الكــريم مــراراً وطبع بدمشق في مطبعتي الملاح والهاشمية عشرات المرات منفرداً أو مع تفسير الجلالين. وإلى جانب تأثره بالحافظ عثمان فقد تأثر برئيس

الخطاطين الحاج أحمد كامل رحمه الله.

وحيث أن الأتراك استطاعوا أن يكونوا أساتذة الخط العربي ومبدعيه خلال أربعة قرون من الخلافة العثمانية، وأن الآمدي كان آخر خطاطيهم، ولكنه في هذه الفترة قد شاخ بعد أن قطع الثمانين من عمره، وأن هاشماً في اكتمال رجولته، وقمة نضجه في الخط، فإنه قد استطاع أن يلوي عنان الخط إلى العرب ليكونوا روّاده، بعد أن غاب عنهم قروناً ومع ذلك فقد كان يسافر إلى تركيا في كل عام تقريباً ليلتقي الخطاطين فيها.

سفره إلى القدس

وسافر هاشم إلى القدس للاطلاع على خطوط الخطاط التركي (شفيق التي طرز بها قبة الصخرة، فاطلع عليها وصوّرها).

وكان (ينوي السفر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ليطلع على خطوط المرحوم الحاج عبد الله أفندي الزهدي الخطاط التركي الشهير. إلاّ أن أعماله الكثيرة كانت ترهقه ووقته ضيق بالنسبة لآماله وخططه ومشاريعه)[1].

موقفه من الأصالة والتجديد

يعتبر هاشم في طليعة المحافظين على قواعد الخط العربي، بل ودعاة التمسك بأصوله المتوارثة. وله مواقف مشهودة في الوقوف أمام دعاة التجديد الذين يريدون اختراق القاعدة والنقطة. ويعتبر هذا التجديد جريمة بحق اللغة العربية راعية هذا الخط، وانفصالاً عن الارتباط الوثيق بالتاريخ والتراث العربي.

أعماله

بعد عودة هاشم من القاهرة أعجب به أصحابه وذووه، لتفوقه في الخط ونبوغه فيه، فدفعه ذلك لافتتاح مكتب للخط العربي في بغداد بعد عودته من القاهرة عام 1946م. وذلك في شارع الرشيد بمحلة السنك في بغداد.

ويشير الأستاذ الخطاط وليد الأعظمي البغدادي في كتابه تراجم خطاطي بغداد إلى أعمال الأستاذ هاشم فيقول عن بداياته: (إن الفقر دفع بصاحبنا أن

---

(1) - تراجم خطاطي بغداد (ص263).

يـــبحث له عـــن عمل يدبر به أموره، فاشتغل عاملاً في وزارة الدفاع مدة من الزمن...

وفـــي ســـنة 1937 عيـــن خطاطاً مستخدماً في مديرية المساحة العامة.. ويذكـــر أنـــه بقـــي خطاطاً في مديرية المساحة ببغداد منذ سنة 1937 إلى سنة 1960م.

وكـــان يعمل بمدرسة المساحة عدد من كبار خطاطي بغداد منهم: صبري الهلالي، وعبد الكريم رفعت وغيرهما، وبحكم اختلاطه بهم استفاد من خبرتهم، ونمّى موهبته من تجارب من سبقوه.

واســـتمر يعمل في دائرة المساحة نهاراً. ويتردد على أستاذه الفضلي مساءً حـــتى منحه الإجازة في الخط سنة (1363هـــ-1943) وكان هاشم يجل شيخه وأستاذه الفضلي، حتى أنه ما كان يذكره بعد وفاته إلا ويترحّم عليه.

ثـــم نقـــل ملاكه إلى وزارة التربية، واختير رئيساً لفرع الزخرفة والخط العربي في معهد الفنون الجميلة ببغداد)[1].

لقـــد كـــان بيته، ومكتبه الذي افتتحه في شارع الرشيد، ومكتب عمله في مديـــرية المســـاحة ومعهد الفنون الجميلة في بغداد كعبة يحج إليها الفنانين من جميـــع أنحـــاء العـــالم، يسألونه عن الخطاطين ودرجاتهم، وعن أصول الخط وقواعـــده، وكان يجيبهم بصراحة وهدوء تامين، فهو المرجع الوحيد في البلاد العـــربية بعد حامد الآمدي في تركيا، وهو المرجع الوحيد للخطاطين في العالم بعد حامد.

آثاره المخطوطة

إذا نظـــرنا إلى سعة اطلاع هاشم فيما كتب عن الخط وتراجم الخطاطين، والـــلوحات التي اطلع عليها في المساجد والقصور وغيرها نجد أن ما قدّمه من آثـــار مطبوعة قليل جداً لموهبته الواسعة. فخلال تلك الرحلة الواسعة مع الخط كـــتب مجموعـــة عـــن (خط الرقعة) عام 1946م وقد أقرتها وزارة المعارف (الـــتربية) يومـــذاك كمجموعة مدرسية مقررة. وهذه المجموعة المتواضعة لم يطـــلع عـــليها إلا طلبـــته في العراق. لكنه اشتهر بإصدار مجموعته المشهورة (قواعـــد الخـــط العربي) عام 1961م وتعتبر هذه المجموعة من أفضل ما كتب

---

(1) - تراجم خطاطي بغداد (ص255-257) والأعلام (67/8).

عن قواعد الخط وتعليمه في العالم الإسلامي، وبهذه المجموعة تخرج خطاطون وتعلموا قواعد الخط العربي من خلال التلقي عنها. وقد اشتهر بهذه المجموعة الرائعة التي طبعت عشرات المرات.

وله (مصحف الأوقاف) الذي طبعته مديرية المساحة العامة ببغداد سنة 1370هـ بإشرافه، وهذا المصحف من خط المرحوم محمد أمين الرشدي، وكتبه سنة 1236هـ. وقد أهدته والدة السلطان عبد العزيز إلى جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة في بغداد، وفي سنة 1386هـ طبع في ألمانيا بإشرافه سنة 1391هـ. وقد بقي الخطاط هاشم في ألمانيا سنتين يشرف على طباعته، قام خلالهما بكتابة عناوين السور والزخارف والتذهيب ووضع الصفحتين الأوليين المزخرفتين لسورة الفاتحة وسورة البقرة. ويومها كان مصحفه الأول في العالم، وسمي مصحف هاشم، وهو ليس من خطه.

وله خطوط رائعة في (عشرات الجوامع والمدارس والربط في كافة أنحاء العراق، زين واجهاتها وطرز محاريبها وقبابها بخطوطه الرائعة الزاهية)[1].

وله زخارف على الدينار العراقي والعملات المعدنية العراقية من عام 1948-1954م. والعملات النقدية المتداولة في تونس، والمغرب وليبيا والسودان.

وقد كتب أكثر من عشر حليات[2]. أرسلها إلى استانبول لتذهيبها من قبل كبار المذهبين الأتراك. وقد علّق العديد منها في مكتبه، بينما زين جدران بيته بخطوط رائعة له، سكب فيها عصارة فكره وقصبته.

تلاميذه

كانت لهاشم زيارات كثيرة لكبار الخطاطين في تركيا والشام والقدس والعراق وألمانيا، أما في العراق فقد أخذ عنه تلاميذه مباشرة إما في دائرة المساحة، أو معهد الفنون الجميلة، أو في مكتبه الخاص. وقد نبغ سائر تلاميذه وأصبحوا أعلاماً من أعلام الخط العربي المعاصر في العراق، ومنهم: (مهدي الجبوري، وصادق الدوري، والرائد غالب صبري الخطاط، والدكتور سلمان

---

[1] - الأعلام (67/8) وتراجم خطاطي بغداد (ص261).

[2] - حليات: جمع حلية، وهي لوحة يكتب الخطاط فيها صفات النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرها علي رضي الله عنه وهذه الحلية لا يخطها إلا كبار الخطاطين. لذا نرى الخطاط إن لم يتقن الخط يتعرض للنقد اللاذع والتجريح من الناقدين.

إبـــراهيم الخطـــاط، والحاج صابر الأعظمي، وكريم حسين، وعدنان الشيخلي، وخـــالد حسين، وعصام الصعب، وأخيه عبد الهادي وفوزي الخطاط، وصلاح شيرزاد، ومحمد حسنْ البلداوي، وثابت منير الراوي، وعبد الغني عبد العزيز، وخطاب الراوي، ووليد الأعظمي[1].

ولــم يمنح إجازة في الخط إلا لتلميذه الخطاط عبد الغني عبد العزيز الذي يتوسم فيه دون بقية تلاميذه أن يكونَ خلفاً للخطاط هاشم في جودة الخط.

وفاته.

بعـــد هـــذه الرحلة الطويلة مع الخط العربي ممارسة وتدريساً. وفي (ليلة الاثنين 27 ربيع الأول 1393هـ الموافق 30 نيسان 1973م بعد منتصف الليل أحسّ الأستاذ هاشم بألم في قلبه. ونقله أهله مباشرة إلى مشفى الخيال، وما هي إلا لحظات حتى أسلم روحه إلى بارئها)[2].

وفـــي صباح يوم الاثنين صلى عليه إمام جامع أبي حنيفة، ودفن في مقبرة الخيـــزران، ولم يعلم أكثر الناس بوفاته، ولم يخرج في جنازته إلا القليل. وأقام ديوان الأوقاف في بغداد حفلاً تأبينياً له في جامع 14 تموز بمناسبة أربعين يوماً عـــلى وفاتـــه، ألقيت في هذا الحفل الكلمات وقصائد الرثاء، التي تناولت حياته وأخلاقه وخطوطه الرائعة.

وأقـــام معهـــد الفـــنون الجميلة ببغداد حفلاً آخر بمناسبة أربعين يوماً على وفاته ألقى فيه زملاؤه وأحبابه وتلاميذه كلمات وقصائد في رثائه.

وقـــد طـــبعت الكـــلمات والقصائد التي ألقيت في تأبينه وأربعينه في كتاب أصدره ديوان الأوقاف في بغداد بعنوان (ذكرى عميد الخط العربي هاشم محمد البغدادي).

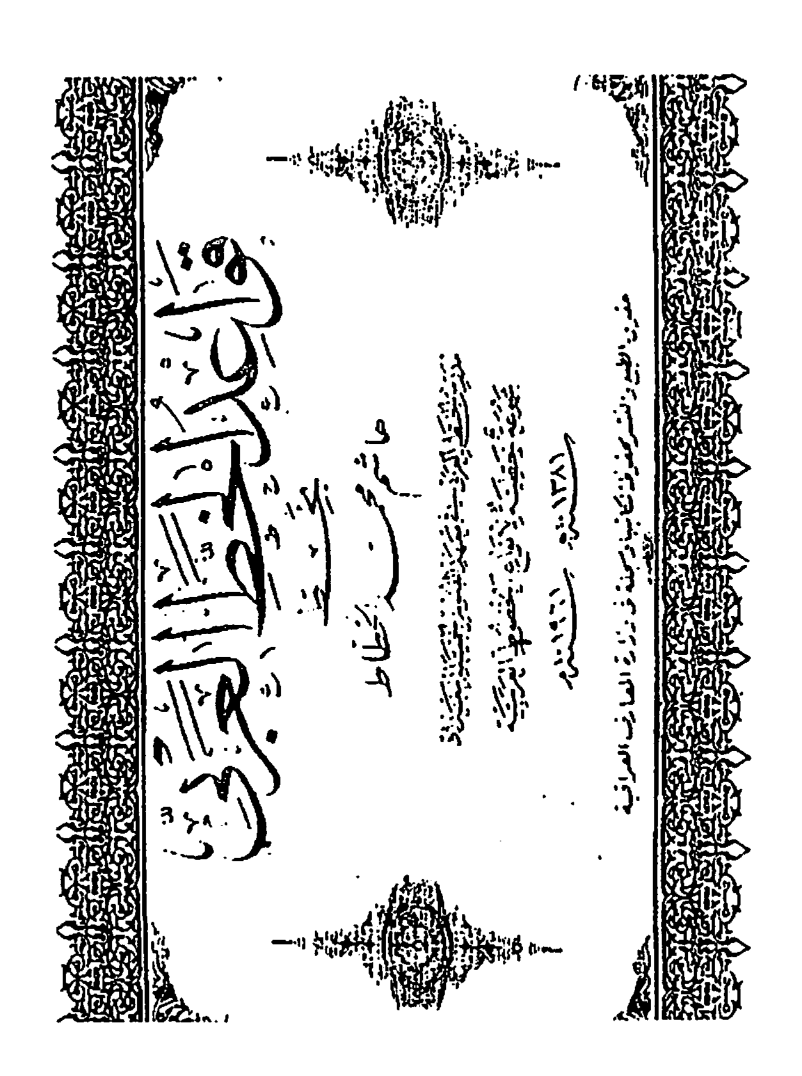
حقاً لقد كان هاشم أعظم خطاط أنجبته بغداد عبر تاريخها الطويل.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

---

(1) - تراجم خطاطي بغداد المعاصرين (ص266).

(2) - تراجم خطاطي بغداد المعاصرين (ص267).



حامد الآمدي

1309-1403هـ / 1891-1982م

آخــر الخطــاطين العظام في القرن العشرين، هو أشهر من أن يكتب عنه الكــاتب، فخطوطه ولوحاته تحكي قصته الفنية المبدعة في إظهار جماليات هذا الخط، الذي هو ملك لكل من يجيد الحرف العربي.

مولده ودراسته

ولد حامدٌ الآمدي في مدينة آمد (ديار بكر) في عام 1891م واسمه الحقيقي هــو: موســى عزمي، وكان والده يعمل قصاباً يبيع اللحوم. وجدُّه لأبيه هو آدم الآمــدي كان يعمل خطاطاً. درس في الجامع الكبير في ديار بكر مع الصبيان لــدى الكتّاب، وتعلم القراءة والكتابة، ثم أخذ الخط عن أستاذه مصطفى عاكف، الذي لقّنه أصول الخط، فراح حامد يتعلّم على هامش المصحف، فلما علم معلمه بمــا فعــل قال له: (ألم تجد مكاناً آخر لتكتب فيه؟ ثم أمر المعلّم بضرب حامد "بالفلقة")[1].

وانــتقل بعــد الكتّاب إلى المدرسة الرشدية العسكرية في ديار بكر، فأخذ يتعلم فيها خطوط اللغة اللاتينية والرومانية وغيرهما إضافة للخط العربي، الذي أجــاد فيه خط الرقعة عن الخطاط واحد أفندي، وخط الثلث عن أحمد حلمي بك الذي كان خطاطاً وضابطاً للجاندرما، كما أخذ عن عبد السلام أفندي الذي كان قريــباً له، وعن معلم للخط كان إماماً للمسجد اسمه سعيد أفندي، الذي كان يعلم الطــلاب كتابة الخط بالطباشير على السبورة، فكان حامد يكتب الآيات القرآنية، فقد خط القرآن الكريم على هذه السبورة عدة مرات.

ونتيجة لهذا الانهماك في الخط رسب في الصف الأول في الرشدية (الأول

---

(1) - مجلة العربي العدد (290) (ص76) عام 1983. والعثمانيون (ص258).

الإعدادي فأخرجه والده من المدرسة، ثم أعاده إليها، لقد منعه والده من مزاولة الخـــط، فكـــان يزاوله سراً، إلى أن نجح في مساعدة أحد معلميه الخطاطين في كـــتابة لوحـــة قماشـــية كتب عليها (يحيا السلطان) (وذلك بمناسبة عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش)[1].

وراح يـــتفوق عـــلى أقرانه في الخط في ديار بكر حتى منحوه ليرة ذهبية جـــزاء تفوقـــه، فحملها حامد إلى والده وقدّمها له فرضي عن مهنة الخط التي يـــزاولها وســـمح له بتعلم الخط، في المدرسة الرشدية التي كان فيها في مقدمة المـــتفوقين في الخط، فقد رسم خريطة أعجبت أستاذه الذي وضعها في متحف المدرسة تقديراً لجهوده وإتقانه للرسم.

أنـــهى الدراســـة الإعداديـــة والتحق بالمدرسة الثانوية، وراح يقلّد في هذه المرحـــلة الخطاطين الأتراك (حافظ عثمان (1642-1692م) ومصطفى راقم (1787-1825م) فلما نال الشهادة الثانية بمدرسة الحقوق في استانبول، ثم ترك الحقوق سنة 1907 والتحق بمدرسة الصنائع النفيسة التي أصبح اسمها فيما بعد (أكاديمية الفنون الجميلة) باستانبول.

وفـــي عـــام 1908م توفـــي والده الذي كان يرسل له ثلاث ليرات ذهبية شهرياً، فترك المدرسة وعمل مدرساً للرسم.

وظائف شغلها

درّس حـــامد ســـنة فـــي مدرسة (كلشن معارف) ثم عمل سنة أخرى في مديرية مطبعة الرسومات، وعمل بعدها في المدرسة العسكرية، والتحق خطاطاً بمطبعة أركان الحرب العثمانية يعمل في مكان الخطاط المتوفى محمد نظيف (1846-1913) وبقـــي حـــامد فـــي هذه المدرسة أربع سنوات، ثم انتقل أثناء الحـــرب العالميـــة الأولى إلى ألمانيـــا لدراســـة خرائط تابعة لأركان الحرب الألمانية.

عـــاد بعـــد ذلك إلى تركيا فاستأجر دكاناً صغيراً في حي (جاغال أوغلو) لمـــزاولة الخـــط، وحيث أنه موظف، والقانون يمنعه من العمل الحر، فإنه اتخذ لنفسه اسماً مستعاراً هو (حامد) فلما انكشف أمره حوكم وحُكم عليه فاستقال من الوظيفة.

---

(1) - العثمانيون (ص258).

ونتيجة لما حلّ به من حكم المحكمة فقد اضطر حامد وقد أخذ شهرة واسعة بهذا الاسم إلى تغيير اسمه في سجلات النفوس وجميع دوائر الدولة من موسى عزمي إلى (حامد) ثم استأجر دكاناً غير الدكان السابق في منطقة (الباب العالي) حيث بقي يعمل به إلى آخر حياته.

أهم أعماله

سئل حامد رحمه الله قبيل وفاته عن أعظم خطوطه الجوامعية فقال: (إنها تلك التي كتبتها في جامع شيشلي باستانبول، قام بتصميم هذا الجامع وبنائه زميلي في الدراسة وصفي بك)[1].

كما خط آيات في جامع (قوجة تبة) في أنقرة، وجامع (موضة) في استانبول وجامع (قارتال) في استانبول.

وقد قام بخط القرآن الكريم مرتين، طبعت إحداهما في تركيا وألمانيا، وله ثلاث طغراءات اشتهر بها على طول العالم الإسلامي هي:

1-طغراء السلطان عبد الحميد الثاني سلطان الدولة العثمانية.

2-طغراء الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية.

3-طغرأء الامبراطور رضا شاه بهلوي شاه إيران.

وله العديد من الخطوط المختلفة من شواهد القبور، وبطاقات الدعوة، وكروت الفيزيت (الزيارة)، وعناوين وخطوط العديد من الكتب، واللوحات الجدارية.

وكان حامد يعجب بسورة الفاتحة التي خطها تقليداً للفاتحة التي خطها الخطاط راقم. وقد استغرقت هذه اللوحة من وقته ستة أشهر.

تلاميذه

استطاع الخطاطون الأتراك أن يكونوا أساتذة العالم في الخط العربي في أواخر الدولة العثمانية، وأن يبدعوا خطوطاً جديدة، ويطوّروا الخطوط القديمة المتعارف عليها في دواوين الدولة ومخطوطات الخطاطين أنفسهم. وإذا كان الخط العربي قد نضج في هذه الفترة فإن للخطاطين الأتراك اليد الطولى في

---

(1) - العثمانيون (ص260).

ذلك. وهذا ما جعل حامد الآمدي يأخذ آخر ما وصل إليه من سبقوه وعاصروه، فيصوغ ذلك في قضبته فيسبق السابقين واللاحقين أشواطاً.

كل ذلك دفع عشاق الخط ومحبّيه وممارسيه للتعرف على حامد الذي بلغت شـــهرته الآفـــاق، وتهافت عليه التلاميذ من كل مكان، فكان دكانه وبيته كعبتين يحط أولئك رحالهم عندهما، ليتتلمذوا على يديه ويأخذوا عنه.

لقد تتلمذ على يديه كثير من الخطاطين في دول العالم.

(ففي تركيا: حليم، حسن جلبي، خسرو صوباشي، أحد فاتح.

وفـــي الـــبلاد العـــربية: الخطـــاط هاشم البغدادي، يوسف ذو النون، علي الراوي، مروان الحربي، سماع الحلبي، السيدة جنات الموصلية.

وفي اليابان: السيدة ميناكو)[1].

وقـــد الـــتقيت كثيراً من الخطاطين في دير الزور وحلب ودمشق، فكانوا يلهجون بذكر حامد، ويعتبرونه أبا الخط العربي الحديث.

وفاته

توفي حامد رحمه الله في مشفى حيدر باشا باستانبول، حيث عولج في هذه المشفى فترة، وصلي عليه في جامع شيشلي الذي كان يفخر بخط آياته القرآنية. ودفـــن في 20 أيار 1982 تحت قدمي شيخ الخطاطين حمد الله أفندي. وخرج في جنازته كبار الخطاطين الأتراك وغيرهم. وكان في مقدمتهم:

(تـــلميذه الخطـــاط المشـــهور حسن جلبي، وتلميذته الخطاطة إينجي بش أوغـــلو، وتـــلميذه رجـــل الأعمـــال والخطاط ضيا آيدين، والخطاط الصيدلي أوغوردرمـــان، والمؤرخ إبراهيم القونوي، ومفتي استانبول صلاح الدين قايا، ومعمّر أولكر المدير العام للمكتبة السليمانية باستانبول)[2].

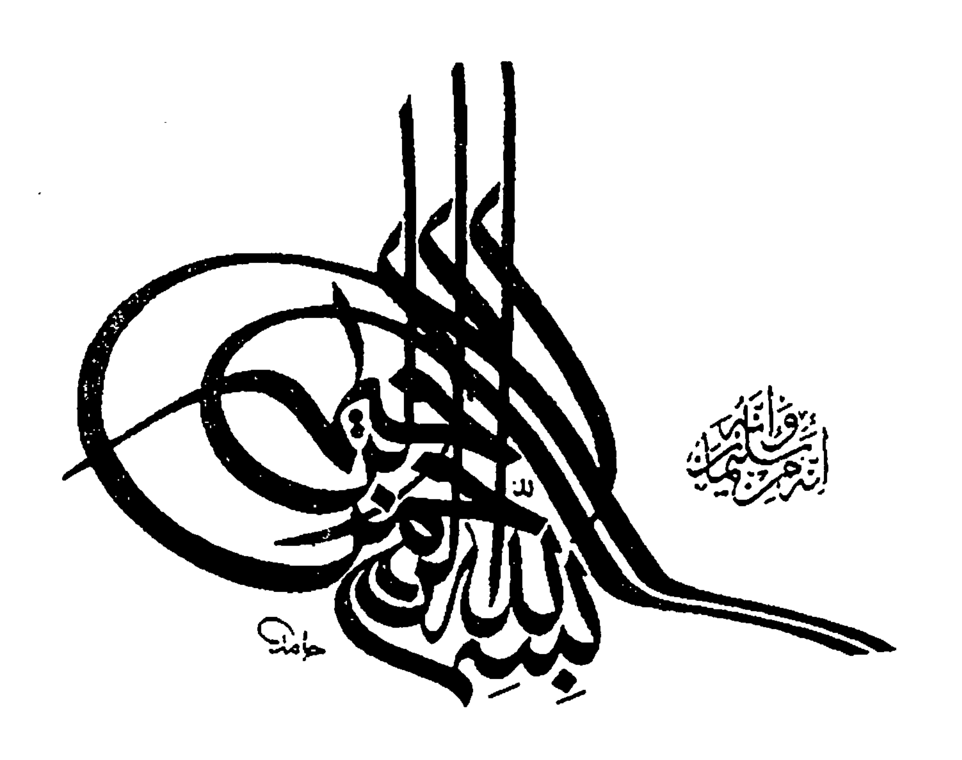
نعـــم مـــات حامد الآمدي عن واحدة وتسعين سنة، لكنه سيبقى أبد الدهر أستاذ الخط العربي في القرن العشرين.

رحمه الله وأجزل ثوابه.

---

[1] - مجلة العربي- العدد (290) (ص81) والعثمانيون (ص261).

[2] - العثمانيون (ص262).


بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه
حامد

المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

2-إتمام الأعلام، د.نزار أباظة ومحمد رياض المالح- طبعة أولى- 1999- دار صادر- بيروت.

3-أدب الكاتب أبو بكر محمد بن عبد الله الصولي تعليق الشيخ محمد بهجة الأثري- المطبعة السلفية 1341هـ القاهرة.

4-الأعلام الزركلي - دار العلم للملايين- طبعة خامسة- بيروت- 1980م.

5-الاقتضاب في شرح أدب الكتاب البطليموسي- القاهرة.

6-البداية والنهاية ابن كثير- دار الكتب العلمية- بيروت- طبعة ثالثة- 1407هـ-1987م.

7-تاريخ العراق بين احتلالين عباس العزاوي- تصوير طهران.

8-تتمة الأعلام للزركلي محمد خير رمضان يوسف- طبعة أولى- 1998 م- دار ابن حزم- بيروت.

9-تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب عبد الرحمن بن الصائغ- تحقيق هلال ناجي- دار بوسلامة، تونس- 1981م.

10-تراجم خطاطي بغداد وليد الأعظمي- دار القلم- بيروت- طبعة أولى- 1977.

11-الخط العربي د.عفيف بهنسي- دار الفكر- طبعة أولى- دمشق- 1984.

12-دائرة المعارف بطرس البستاني- دار المعرفة- بيروت.

13-دائرة المعارف للمستشرقين - إعداد شنتناوي ورفاقه- كتاب الشعب- القاهرة.

14-ذيل الأعلام أحمد العلاونة- طبعة أولى- 1998- دار المنارة- جدة.

15-سير أعلام النبلاء الذهبي- تحقيق جماعة من العلماء- مؤسسة الرسالة- طبعة أولى- بيروت.

16-شروح سقط الزند أبو العلاء المعري- الدار القومية للطباعة- القاهرة.

17-شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي- دار الآفاق- بيروت.

18-شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكة- دار العلم للملايين- بيروت.

19-صبح الأعشى القلقشندي- المؤسسة المصرية العامة- القاهرة.

20-العبر الذهبي- تحقيق محمد زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت.
21-العثمانيون د.محمد حرب- دار القلم- طبعة ثانية- 1319 هـ-1999م دمشق- بيروت.
22-العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1982.
23-الفخري في الآداب السلطانية ابن طباطبا- دار صادر- بيروت.
24-الفنون الجميلة عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة- بيروت.
25-الكامل في التاريخ ابن الأثير الجزري- دار صادر- بيروت- 1979 م.
26-كتاب خانة عمومي حضرت آية الله مرعشي نجفي- طهران.
27-الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة يوهنس بيدرسن- ترجمة د. حيدر غيبة- دار الأهالي- دمشق- 1989م.
28-كشف الظنون حاجي خليفة- دائرة المعارف العثمانية-
29-كيف نعلم الخط العربي معروف زريق- دار الفكر- دمشق.
30-معجم الأدباء ياقوت الحموي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
31-معجم المؤلفين عمر رضا كحالة- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
32-مقدمة ابن خلدون دار الفكر- بيروت ط أولى- .1401هـ-1981م.
33-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن محمد فؤاد عبد الباقي.
34-المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام د.جواد علي- دار العلم للملايين- طبعة ثانية 1978- بيروت.
35-من تاريخ المكتبات د.خيال الجواهري- وزارة الثقافة- دمشق- 1992 .
36-المنتظم ابن الجوزي- تحقيق محمد ومصطفى عطا- دار الكتب العلمية- طبعة أولى- 1412هـ-1992م- بيروت.
37-النجوم الزاهرة ابن تغري بردي- وزارة الثقافة والإرشاد- القاهرة.
38-الوزراء والكتاب الجهشياري.
39-وفيات الأعيان ابن خلكان- تحقيق إحسان عباس- دار صادر- بيروت- 1977.

المجلات

40-مجلة العربي العدد 298- ذو القعدة 1403هـ-1983م.

فهرس الصور واللوحات

فهرس الموضوعات



رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

رحلـــة الخـــط العربي : من المسند إلى الحديث: دراسة/ أحمد شوحان- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2001 - 129ص؛ 24سم.

1- 411.5 ش و ح ر

2- 927 ش و ح و

3- العنوان

4- شوحان

ع- 2001/10/1994

مكتبة الأسد

□□